الأصالة

عودةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَفِ الأُمَّة

١٥ رجب — رسالةٌ إسلاميَّةٌ منهجيَّةٌ جامعةٌ — ١٤١٥ هـ

١٤٠١٣

تقرأُ في هذا العدد :

مسائل وأَجوبتها : العلّامة المحدِّث محمّد ناصر الدين الأَلباني

كلمات في فَهْم القرآن والسنّة : العلّامة الشيخ محمد بن صالح بن عُثَيمين .

مَنِ العلماء .. الّذين تسعد بهم الأُمّة ؟ : محمّد إبراهيم شقرة .

الاعتصام .. وأَسبابه : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

السُّنّة النّبويّة بين أَتباعها وأَعدائها : سليم بن عيد الهلالي .

وقفات مع كتاب « السّلفيّة .. » للبوطي : محمّد منفيخي .

آفات على الطريق (الحلقة الثالثة) : محمّد موسى نصر .

.. وغيرها من المواضيع والأَبواب الثابتة

الأصالة

عَودةٌ إلى الكتابِ والسُنَّة بفهم سَلَف الأمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجيَّةٌ جامِعَةٌ

تصدر منتصف كلِّ شهر هجري ، وفي كلِّ شهرين مرَّة مؤَقَّتًا

السنة الثالثة : العددان الثالث عشر والرابع عشر

١٥ رجب ١٤١٥ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نصر

ص ب ٥٣٣٨ / ١١٣

بيروت - لبنان

إِنَّ الحَمدَ للَّه ، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا ، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا ، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلّا وَأَنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالًا كثيرًا ونِساءً واتَّقوا الله الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ الله كانَ عَلَيكُم رَقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ ياأَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله وقولوا قَولًا سَديدًا يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ الله ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزًا عَظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه ، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها ، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

المحتوى

فاتحة القول : من أَبطأَ به عمله .. لم يسرع به نسبه .

التحرير ٥

تأَمُّلات قرآنيَّة : ﴿ ... فأَضلُّونا السَّبيلا ... ﴾ .

علي بن حسن ٨

الكلم الطيِّب : الخصومة .

أَبو عبيدة مشهور بن حسن ١٠

كلمات في الدعوة والمنهاج : خَلَل في المنهج .

سعود بن ملُّوح العنزي ١٢

آفات على الطريق : الدنيا .. وحُطامها (الحلقة الثالثة) .

محمَّد موسى نصر ١٧

مباحث عقيديَّة : عقوبة من حكم بغير ما أَنزل اللَّه .

خالد بن علي العنبري ١٩

وفاء ورثاء : العلامة الشيخ عبدالرزّاق عفيفي رحمه الله تعالى .

التحرير ٣٢

أُصول وقواعد : كلمات في فهم القرآن والسنّة .

فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ٣٥

قيم إِسلاميّة : الاعتصام .. وأَسبابُه .

الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ٣٨

تصفية وتربية : وضوح الغاية ... وأَثره في استقامة المسلم .

ضياءالدين شهاب الدين ٤٦
توجيهات إسلاميّة : كلمات إلى المُرَبِّين والمُربيات .
محمد بن جميل زينو ٥٥
واحة العلم : مَنِ العلماء ... الذين تسعَدُ بهم الأُمَّة ؟ (الحلقة الثانية)
محمَّد إبراهيم شقرة ٦٨
الكتب .. تعريفًا ونقدًا : وقفات مع كتاب « السَّلفية مرحلة زمنيَّة مباركة لا مذهب إسلامي » (لمحمَّد سعيد البوطي) (الحلقة الأُولى)
محمَّد فريز منفيخي ٧٣
من جعبة التاريخ : قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه .
أَحمد شقيرات ٨٧
مسائل ... وأَجوبتها :
العلَّامة المحدِّث محمَّد ناصر الدين الأَلباني ٩٥
في السنَّة وعلومها : السُّنَّة النَّبويَّة بين أَتباعها وأَعدائها .
سليم بن عيد الهلالي ١٠٢
صفحات في النَّقد الذَّاتي : هل نحن قومٌ سلفيُّون ؟
أَحمد سلام ١١٧
الوجه .. والوجه الآخر : أَفلست العلمانيّة ولكن .. ؟
أُسامة شحادة ١٢٢
أَحوال العالم الإسلامي :
التحرير ١٢٧
القرَّاء ... منهم وإليهم :
التحرير ١٢٩
مسك الختام :
التحرير ١٣٢

من بَطَّأَ به عمله .. لم يسرع به نسبه

التحرير

لقد خلق اللَّهُ الخلقَ كلَّهم من آدم ، وآدم من تراب ؛ لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ إلَّا بالتَّقوى مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكرمَكم عند الله أَتقاكم ﴾ .

فالإِيمان ، والعمل الصَّالح ، وتقوى اللَّه ، وحسن الخلق هو معيار التفاضل بين النَّاس ، لكن حينما يفلس الإِنسان من هذه المعاني الجليلة ، يسعى إِلى البحث عن بديلٍ يعلو به على النَّاس - سواءٌ كان ذلك نسبًا ، أَم لونًا ، أَم مالًا ، أَم شرفًا - حتَّى لو كان خواءً من العمل الصَّالح !!

والإِسلامُ جاء ليزن الإِنسانَ بما يحمل من فضائل وصفات ، لا بما يحمل من مالٍ وجاهٍ ونسبٍ ؛ فإِنَّ هذه الأَشياء لا اعتبار لها عند اللَّه إِذا لم يشفع لها إِيمانٌ وعملٌ صالحٌ .

فقد صحَّ في الحديث : « إِنَّ اللَّه لا ينظر إِلى صوركم وأَموالكم ، ولكن ينظر إِلى قلوبكم وأَعمالكم » .

وقد مرَّ بالرَّسول ﷺ - وهو جالسٌ مع أَصحابه - رجلان ، فسأَل عن الأَوَّل ، فقالوا : هذا الذي إِذا تكلَّم أَصغى له النَّاس ، وإِذا حضر فسَحوا له في المجلس ، وإِذا خطب زُوِّج ، و ... إِلخ . وسأَل عن الآخر ، فقالوا فيه نقيضَ ما قالوا في صاحبه ، فقال ﷺ في شأْن الثاني : « هذا يساوي ملء الأَرض من ذاك » ، والسببُ أَنَّه يخشى اللَّهَ ، ويتَّقِيهِ ، وقد تحلَّى بالفضائل ، أَمَّا الأَوَّل فليس له من ذلك نصيب .

وقد سدَّ النَّبيُّ ﷺ بابَ المفاضلة والمفاخرة بالأَنساب حينما قال : « إِنَّ اللَّه قد أَذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ، وتعاظمها بالآباء ، النَّاس من آدم ، وآدم من تراب » ،

وبيَّن أَنَّ الذي يقرِّبُ العباد إلى ربِّهم زُلفى إِنَّما هو الإيمان والعمل الصَّالح ، فقال لأَقرب النَّاس إليه : « اعملوا ؛ فإِنّي لا أُغني عنكم من اللَّه شيئًا » ، قال ذلك لابنته فاطمة ، وعمِّه العبَّاس ، ولعمَّته صفيَّة ؛ حتَّى لا يظنَّ ظانٌّ أَنَّ النَّسب الشريف قد يشفع لصاحبه دون أَنْ يقترنَ معه عملٌ صالحٌ .

فهذا ابن نوح - عليه السَّلام - هل أَغنى عنه نسبه شيئًا ؟! ﴿ ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إِنَّ ابني من أَهلي وإِنَّ وعدك الحق وأَنت أَحكمُ الحاكمين ٠ قال يا نوح إِنَّه ليس من أَهلك إِنَّه عملٌ غير صالح ... ﴾ ، فنفى اللَّه عن ابن نوحٍ نسبَ الدين لمَّا أَصرَّ على البقاء مع الكافرين ، ولم يشفع له نسبُ الدَّم والقرابة شيئًا .

وهذا إِبراهيم - عليه السَّلام - هل أَغنى عن أَبيه نسبُه شيئًا ؟! ﴿ وما كان استغفار إِبراهيم لأَبيه إِلَّا عن موعدة وعدها إِيَّاه فلمَّا تبيَّن له أَنَّه عدوٌّ لله تبرأَ منه إِنَّ إِبراهيم لأَوَّاهٌ حليمٌ ﴾ .

فالنسبُ الشريفُ والتشبّث بالصالحين لا يُفيدُ صاحبَه شيئاً مع إِصراره على الكفر والفسوق والعصيان ؟! وسورة المسد أَكبر شاهد على ذلك .

بل إِنَّ الله نهى نبيَّه أَنْ يستغفر للمشركين حتى لو كان ذلك المشرك أُمَّه أَو عمَّه ، فقال تعالى : ﴿ ما كان للنَّبي والذين آمنوا أَنْ يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبيَّن لهم أَنَّهم أَصحاب الجحيم ﴾ .

فالاتِّجار بالأَنساب - دون علم وعملٍ واستقامةٍ - من أَعمال الجاهلية الأُولى التي حاربها الإِسلام ، وليس ثَمَّتَ أَحَدٌ حجَّةٌ على دين اللَّه إِلَّا حينما يقوم على شرع اللَّه ، ويحكِّمه في نفسه ، وعلى غيره ممَّن هم تحت مسؤوليته ورعايته .

فمن أَراد نيل الآخرة بنسبه وجاهه ، كان كمن يلهث خلف السَّراب ﴿ حتَّى إِذا جاءه لم يجدْه شيئًا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ .

واللَّه وحده الهادي إِلى سبيل الحقِّ والصَّواب .

ثمَّ إِنّا نقولُ :

يُوافقُ هذا العددَ بدايةُ السنّةِ الثالثةِ لـ « الأَصالة » ، وهي ما تزالُ على ما هي

عليه من الصدورِ في كلِّ شهرين مرّةً ، وذلك لأَسبابٍ فوقَ الوُسْعِ ، وإِنْ كانت الرَّغبةُ منّا شديدةً بإِصدارِها شهريّاً .

وسوفَ يُلاحظُ قُرّاؤنا الأَفاضل ثوبَ (الأَصالةِ) الجديد ، الّذي ازدانت به في هذا العدد ، شكلاً ومضموناً ، ولعلّ في هذا - إِنْ شاءَ اللهُ - استجابةً لكثيرٍ مِن رَغَباتِ قُرّائنا وإِخوانِنا .

وقد أَكّدنا ذلك بإِضافةِ (استبيان الأَصالة) ؛ نستطلعُ فيه آراءَ إِخوانِنا القُرّاء وتوجيهاتهم وملاحظاتِهم ، راجينَ منهم في كلِّ مكانِ التعاونَ والتواصلَ لرفعِ مُستوى (الأَصالةِ) إِلى القَدْرِ الذي تطمئنُّ إِليه قلوبُنا جميعاً .

وإِنّنا لنَعتذرُ للإِخوةِ الأَفاضلِ الحريصين على مُتابعةِ (الأَصالةِ) عن هذا التّأَخُّر الطارىءِ في إِصدارِ العددِ الثالث عشر ، وذلك لِحَدَثٍ أَلَمَّ بنّا ، ممّا حالُ دونَ صُدورِها في آنِها ، فاللّهمَّ فَرِّجْ ويَسِّرْ .

ومِن أَجلِ ما سَبَقَ ذِكْرُهُ ؛ ارْتأَينا - بعد مُشاورةٍ من بعضِ أَهلِ الاختصاصِ - دَمْجَ العددين : الثالث عشر والرابع عشر ، ليكونوا في غلافٍ واحدٍ ، وهذه جادّةٌ مطروقةٌ مِن بعضِ المجلّاتِ الإِسلاميّة حين الضرورةِ .

وأَخيراً : فإِنَّ مِمّا أَسعدَنا ، وأَثْلَجَ صدورَنا ما تكرَّمَ به فضيلةُ الشيخِ محمد بن صالح بن عُثيمين حفظه اللهُ من إِرسالِ (كلمات) توجيهيّةٍ لعامّةِ المُسلمين ، خصَّ بها (الأَصالةَ) وقُرّاءَها ، عسى أَن تُفيدَهم - إِنْ شاءَ اللّهُ - في قواعدِ (فهم القرآنِ والسُّنّةِ) ، فجزاهُ اللهُ خيراً ، ونَفَعَ به .

وإِنّنا لَنَهْتَبِلُها فُرصةً - في هذا المقام - لتوجيه طَلَبٍ حثيثٍ إِلى أَهلِ العلمِ عموماً ؛ علماءَ وطلبةَ علم ليضمُّوا أَيديَهم إِلى أَيدينا من أَجلِ مواصلةِ السيرِ الدؤوبِ الّذي خَطَطْناه في هذه المجلّةِ ، دعوةً إِلى الكتابِ والسنّةِ ، وتأْصيلاً لمنهجِ سَلَفِ الأُمّةِ ، وذلك بالنُّصحِ تارةً ، والنَّقْدِ أُخرى ، والمقالةِ طَوْراً ، والتعريف طوراً آخر ...

فاللهَ نسأَلُ التوفيقَ والسَّدادَ ، والهدى والرَّشاد .

وآخرُ دعوانا أَن الحمدُ للّهِ ربِّ العالَمين .

﴿ ... فَأَضَلُّونا السَّبِيلا ... ﴾

علي بن حسن

تَنْطَلِقُ الآيات القرآنيةُ المنبثِقةُ معانيها مِن خلال السِّياق المُتسلسل بنظمٍ عجيبٍ عظيم ، يؤَكِّدُ لكلِّ ذي عَقْلٍ حقيقةً لا يشكُّ فيها ذو لُبٍّ أَنَّ هذه الآياتِ إِنَّما هي كلامُ اللَّهِ العليّ الأَعلى سبحانه .

وتُقَرِّرُ هذه الآياتُ – ضمنَ سياقاتها – معانيَ شتَّى ، وحقائق عدَّة ؛ بَدْءًا من العقيدة والتوحيد ، ومرورًا بالمعاملة والعبادة ، وانتهاءً بالخلق والسُّلوك .

والآيةُ الَّتي نتأَمَّلُ – اليومَ – شيئًا مِن معانيها ، ونتفهَّمُ بعضًا مِن مراميها آيةٌ تُبَيِّنُ حالَ ومآلَ فئةٍ من النَّاس الَّذين نَسُوا الغايةَ الأَساسَ مِن خَلْقِهم ، وتغافَلُوا – لسوءِ أَحوالهم – عن حقيقة الصِّلةِ الواجبِ وجودُها بين الخَلْق والخالقِ ؛ فأَعْرَضوا ، وجهلوا ... فضلُّوا ، وأَضلُّوا .

ويومَ القِيامة يتندَّمون ، ويعلمون ما هم عليه مُقْبِلون ، فيعترفون ، ولكنْ .. ﴿ وَلَاتَ حينَ مَنَاص ﴾ !!

فلا ندامةَ ، ولا تأَسُّفَ ، ولا تَحَسُّرَ على ماضٍ ...

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وجوهُهُم في النَّارِ يقولون يا لَيْتَنا أَطَعنا اللهَ وأَطَعْنا الرَّسولا وقالوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعنا سادَتَنا وكُبراءَنا فأَضَلُّونا السَّبيلا ﴾ .

.. لأَنَّهم لم يستجيبوا لأَمر اللَّه سبحانه ، ولم يُسْلِسوا قيادَهم لرسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فكانوا أُلعوبةً بأَيدي كُبَرائهم ، وأُرجوحةً تحت أَقدامهم ؛ يتحرَّكون بحركتهم ، ويسكُتون بسكتتهم ، ويُرَدِّدون – كالبَبَّغَاواتِ – ما يقولون ، ويُكرِّرون – دونما وَعْيٍ – ما هُم يُقرِّرون !!

تتغَيَّرُ أَفكارُهم بكلمةٍ (!) وتَنْمَحي آثارُهم بلفظةٍ (!!) وتتبدَّل مواقفُهم بهمسةٍ (!) .

لذا ؛ فَتَراهم يصيحون ويَصْرُخون : ﴿ ... فأَضَلُّونا السَّبيلا ﴾ ، أَي : « أَزالونا عن محجَّةِ الحقّ ، وطريق الهدى والإِيمان بك ، والإِقرار بوحدانيَّتك ، وإِخلاص طاعتك في الدنيا »[١]!!!

ولماذا ؟! لسانُ حالهم يقولُ : « اعتقدْنا أَنَّ عندهم شيئًا ! وأَنَّهم على شيءٍ !! فإِذا هم ليسوا على شيءٍ »[٢].

وكم مِن أَمْثالِ هؤلاءِ - على تفاوُتٍ في الضلالِ والإِضْلالِ - نراهم في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ !!

كم مِنْهم - ومِن أَشكالهم - مَن يتصَدَّرون ، ويفتخرونَ ، ويستَعْلون ، ويتعاظمون .. وهم « ليسوا على شيء »[٢].

فَهَل مِن رَجْعَةٍ تكونُ الطَّاعةُ المُطْلَقَةُ فيها للَّهِ جلَّ في عُلاه ؟!

وهل مِن أَوْبةٍ يكون الالتزامُ الصَّادقُ فيها بأَمْرِه سبحانه وتعالى ؟!

فلا طاعةَ إِلَّا في ظلال طاعتِه .

ولا هدايَة إِلَّا في أَفْياءِ أَحكامِه .

فأَهلُ الطاعةِ والهدايةِ يُخاطَبون يومَ القيامةِ ، ويُقالُ فيهم : ﴿ لهم البُشْرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

فأَين أُولئك مِن هؤلاءِ .. في الدنيا ، وفي الآخرة ؟!

---

(١) « جامع البيان » (٢٢ / ٥٠) .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٣ / ٨٢٦) .

الخصومة

أَبو عبيدة مشهور بن حسن

أَخرج البخاري في « صحيحه » رقم (٧١٨٨) بسنده إِلى عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « أَبغض الرِّجال إِلى اللَّه الأَلَدُّ الخَصِمُ ».

في هذا الحديث بيان أَنَّ النِّزاع والخصومة غير مرغوب فيهما شرعًا ، لما يسبِّبانه من النُّفور والشقاق بين المسلمين ، وبين أَفراد المجتمع جميعًا ، وانطواء قلوب بعضهم على بعض ، والضغينة للآخرين ، في حين أَنَّ مِن أَسمى أَهداف الشرع أَنْ تتوحَّد الأُمَّة وتجتمع على التوحيد ، وتسود الأُلفة والمحبةُ بين أَفرادها .

والنصوص الواردة في ذلك كثيرة وشهيرة ، والذي أَودّ بيانه هنا أُمورٌ :

الأَوَّل – إِنَّ أَبغضَ النَّاس عنداللَّه – عزَّ وجلَّ – من كان مشهورًا بالخصومة ، وله لَدَدٌ فيها ، فهو لا يتقي اللَّه في خصمه ، بالافتراء عليه تارةً ، وتحميل كلامه ما لا يحتمل تارةً أُخرى ، وقبول كلام خصوم هذا الخصم من غير تثبُّتٍ ولا تبيُّنٍ .

الثاني – إِنَّ الرَّجل الذي يفجر في خصومته فيه خَصلة من خصال النِّفاق ، فقد ثبت في « صحيح البخاري » (رقم ٣٤) ، و « صحيح مسلم » رقم (٥٨) أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « أَربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النِّفاق حتى يدعها : إِذا حدَّث كذب ، وإِذا عاهد غدر ، وإِذا وعدَ أَخلف ، وإِذا خاصم فجر » .

الثالث – إِنَّ الذي يخاصم النَّاس بباطلٍ – وهو يعلمه – فهو يرتع في سخط اللَّه عزَّ وجلَّ – والعياذ باللَّه – حتى يرجع عن المخاصمة ، أَو يعترف بالحقِّ أَمام

الحُكْم ، أَو يردَّ ما أَخذ بالباطل لصاحبه .

أَخرج أَحمد في « مسنده » (٢ / ٨٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٤ / ٩٩) وغيرهما بإِسنادٍ جيِّدٍ عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « من خاصم في باطلٍ - وهو يعلمه - لم يزل في سخط اللَّه حتَّى ينزع » .

الرابع - ومن الجدير بالذِّكر أَن قَصْرَ الحديث الأَخير على خصومة الإِنسان عن نفسه مما يأباه منطوق الروايات الأُخرى ، من مثل :

ما أَخرج أَبو داود في « السنن » رقم (٣٥٩٨) ، وابن ماجه في « السنن » رقم (٢٣٢٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا : « من أَعان على خصومةٍ بظلمٍ - أَو يعين على ظلمٍ - لم يزل في سخط اللَّه حتَّى ينزع » .

فالوعيد المذكور في الحديث عامٌّ لمن يخاصم عن نفسه وعن غيره ، إِذا كان المخاصَم عنه مبطلًا ، ولهذا ترجم أَبو داود على الحديث (باب في الرجل يعين على خصومةٍ من غير أَن يعلم أَمرها) ، وترجم عليه البيهقي (باب إِثم من خاصم أَو أَعان في الخصومة) .

الخامس - ويدلُّ عليه أَيضًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزلنا إِليك الكتاب بالحقِّ لتحكم بين النَّاس بما أَراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا ﴾ [النِّساء : ١٠٥] .

فـ (الخصيم) هنا بمعنى : المنتصر المدافع ، فأَفادت الآية بمنطوقها حرمة الدِّفاع عن الخائنين ، قال العلَّامة الشيخ السَّعديُّ - رحمه اللَّه تعالى - في تفسير الآية : « أَي : لا تخاصم عمن عُرفتْ خيانته من مدَّعٍ ما ليس له ، أَو منكرٍ حقًّا عليه ، سواء علم ذلك أَو ظنَّه » وقال : « ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل ، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية »[١].

---

(١) « تيسير الكريم الرَّحمن » (٢ / ٧٣) .

خَلَلٌ في المنهجِ

سعود بن ملُّوح العنزي

إِنَّ الصِّراعَ الّذي تشهدُه السّاحةُ الإِسلاميّةُ - بعامّة - ، والعربيّةُ على وجهِ الخصوصِ بين الحكوماتِ من جهةٍ ، و الجماعات (!) الإِسلاميّةِ من جهةٍ أُخرى هو - دونما شكٍّ - يخدمُ أَعداءَ هذا الدينِ المُتربصين به في كلِّ مكانٍ ، الذين ﴿ يريدون ليطفئوا نورَ اللهِ بأَفواهِهم واللهُ مُتمُّ نورِه ولو كره الكافرون ﴾ [الصف : ٨] .

كما أَنَّ هذا الصراعَ ليسَ في صالحِ الصحوةِ الإِسلاميّةِ الّتي أَنعمَ اللهُ عليها بوجودِ شبابٍ متمسكٍ بدينِه ، ومتحمسٍ لقضايا أُمتِه ، ويشهدُ على هذا : النكساتُ الّتي أَصابت هذه الجماعاتِ من جرّاءِ صراعِها الطويلِ مع حكوماتِها ممّا كانَ له أَثَرٌ سلبيٌّ على مسيرةِ العملِ الإِسلاميِّ وبخاصةٍ على هذه الجماعاتِ .

وعلى الرُّغمِ من مرورِ زمنٍ طويلٍ على انتهاجِ عددٍ مِن الجماعات الإِسلاميّة أُسلوبَ المواجهةِ مع حُكوماتِها إِلّا أَنّها لم تجنِ من هذا وراءِ هذا المنهجِ إِلّا كلَّ شرٍّ وخسارةٍ بحقِّها وبحقِّ مجتمعِها .

على الرُّغمِ من أَنّها تهدفُ إِلى تطبيقِ حكمِ اللهِ في الأَرضِ - زعموا - إِلّا أَنّها لم تستطع - وإِلى وقتنا الرّاهن - أَن تتفقَ فيما بينها على منهجٍ يوحِّدُ كلمتَها ، وينظّمُ جهودَها ، ويستثمرُ طاقاتِها ، بل على العكسِ من ذلك فالصراعُ بينها على أَشدِّه ، ودائرةُ الخلافِ تتسعُ يوماً بعد آخر ﴿ فتقطَّعوا أَمْرَهم بينَهم زُبراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون ﴾ [المؤمنون : ٥٣] !!!

ولا شكَّ أَنَّ في هذا دلالةً واضحةً على أَنَّ هناك انحرافاً كبيراً في المنهجِ الّذي

سلكته هذه الجماعاتُ لتحقيقِ غاياتِها .

يقولُ فتحي يَكن - معترفاً بالخسائرِ التي تكبدتها « الجماعاتُ الإسلاميّة » !! :

« منذُ ربعِ قرنٍ والحركةُ الإسلاميّةُ الحديثةُ تعيشُ مِحَناً ضاريةً تقدّمُ فيها الشهيدَ تلو الشهيدِ ، وتبذلُ الثمنَ غالياً من وجودِها وحياتِها دونَ أَن يكونَ لها من ذلك أَدنى مردودٍ » .

ثمَّ قالَ : « والحركةُ الإسلاميّةُ بالرّغم من كلِّ هذا لا يزالُ أُسلوبُها في العملِ نفسَ الأُسلوبِ الّذي مارسته في ظلِّ أَوضاعٍ غدت في خبر كان ..

بل وغدت ممارستها له اليوم - وفي أَعقابِ التحوّل الجذريّ الّذي تشهدُه المنطقةُ - ضرباً من الانتحارِ وجريمةً لا يجوزُ السكوتُ عنها » [١] .

وقد ظنّت الجماعاتُ الإسلاميّةُ - وللأسفِ - أَنّها إن استطاعت السيطرةَ على الحُكم فإنَّ بإمكانِها تطبيقَ الشريعةِ بعد ذلك !! وقد نَسِيَتْ أَو تناست أَنّها تعيشُ وسطَ شعوبٍ أُبعدت عن دينها بوسائلِ التغريبِ و (التَّطْويع) وغيرِها ، فرانَ على القلوبِ الجهلُ ، وسرى حبُّ الدنيا في عُروقِها ، فلم يعد من الممكن أَن تطبّقَ الشريعة - حالياً - بالسهولةِ الّتي يتخيّلها (البعض) ، كما أَنّها نَسِيَتْ - أَو تناست - أَنّ هذا الطريقَ الّذي تسلكُه اليومَ لم يكن خافياً على الرسولِ ﷺ حينَ عرضَ عليه قومُه المُلْكَ والسيادةَ ، ولكنّه ﷺ كانَ يعرفُ طبيعةَ المجتمعِ الّذي يعيشُ فيه ، وأنّه غيرُ مهيأٍ لقَبولِ تكاليفَ سماويةٍ ؛ لأَنَّ العادةَ والقبيلةَ وغيرَ ذلك كانت تحتلُّ من القلوبِ مكاناً عظيماً ، ولأَجلِ هذا ظلَّ ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنة في مكّة يُؤصّلُ في نفوسِ مجتمعِه العقيدةَ السليمةَ ؛ ذلك لأَنّه ﷺ كانَ ينظرُ أَبعدَ من هذا ، ويعلمُ عاقبةَ التسرّعِ إِنْ لم تُؤصَّل العقيدةُ - أَوّلاً وقبل كلِّ شيءٍ - في نفوسِ الناسِ ، فإِذا ما خالطَ حبُّ هذا الدينِ مُهَجَ القلوبِ أَصبحَ تطبيقُ شرعِ اللهِ مطلباً جماعيّاً لا محيدَ للحكامِ - فضلاً عن عامّةِ الناسِ - عن قَبولِه ..

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « مشكلات الدعوة والداعية » فتحي يَكن .

﴿ فعسى اللهُ أَن يأتيَ بالفتحِ أَو أَمْرٍ من عندِه فيصبحوا على ما أَسرُّوا في أَنفسِهم نادمين ﴾ [المائدة : ٥٢] .

كما أَنَّ هناك عثراتٍ أُخرى تحولُ دون تطبيقِ الشريعةِ في الوقتِ الرّاهنِ في أَغلبِ المجتمعاتِ الإِسلاميّةِ ؛ فالحكّامُ الّذين يحكّمونَ القوانينَ الوضعيّةَ وراءَهم أَيدٍ خفيّة تحوطُهم وتُسيِّرُهم نحو ما يخدمُ مصالحَها ، فلن تسمحَ لأَحدٍ أَنْ يمسَّهم بسوءٍ ، وحتّى لو ذهبَ من هؤلاءِ الحكّامِ من ذهبَ ، فالبديلُ موجودٌ عند أَعدائِنا مفقودٌ عند قومِنا !!

وقد جرّبت الجماعاتُ ذلك ، فأَصابَها ما أَصابَها من جرّاءِ تلك التصرفاتِ الهوجاءِ وذلك الحماسِ « الفارغِ » .

ومع كثرةِ التجاربِ المريرةِ الّتي مرّت بها هذه الجماعاتُ إِلّا أَنّها لم تستفد من تجاربِها شيئاً يذكر ، بل لا تزالُ سادرةً في غيِّها غير مباليةٍ بأَرواحِ الشبابِ الطاهرةِ الّتي أُزهقت - وما تزالُ - برصاصِ جنودِ الطغاةِ ، كمّا أَنَّها صمّت آذانَها عن النداءاتِ الّتي وجّهت لهم من قبلِ من آتاهم اللهُ بصيرةً ممّن هم سائرون على نهجِ سلفِهم الصالحِ ، وقد حذّرَ فيها هؤلاءِ المخلصون - فيما نحسبُ - رؤساءَ تللك الجماعاتِ من أَن نهجَهم الّذي يقودون فيه جماعاتِهم سَيُودي بهم إِلى كثيرٍ مِن المسالكِ الوعرةِ ، وأَنَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ في السيرِ على منهاجِ النبوّةِ الّذي سارت عليه القرونُ المفضلةُ وكثيرٌ ممن تبعها - ولو طال الطريقُ - فحققت للإِسلامِ ما حققته من مكاسبَ عظيمةٍ .

ولو تعاملت هذه الجماعاتُ مع حكّامِها في ضوءِ ما قرره الإِسلامُ من قواعدِ الأَمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكر ، واجتناب الخُروجِ عليهم حتّى وإِنْ جاروا وظلموا - لكانَ ذلك أَقومَ لها وأَسلمَ ، وذلك واضحٌ لمن أَرادَ الاتباع وابتعدَ عن الابتداعِ .

وأَعودُ فأَقولُ : إِنَّ أمامَ من يريدُ تطبيقَ الشريعةِ - اليوم - عقبةً كأداءَ ، لا تقلُّ

عن عقبةِ الحكّامِ ، تتمثَّلُ في المجتمع ؛ فمجتمعاتُنا « الإسلاميّة » اليوم لا يخفى حالُها ، ولا يخفى ما يسيطرُ على نفوسِ قِطاعٍ كبيرٍ من أَبنائِها من عقائدَ فاسدةٍ منحرفةٍ يصعبُ معها أَن تطبّقَ الشريعةَ الّتي أَساسُها التوحيدُ ، وأَينَ السوادُ الأَعظمُ من الشعوبِ الإسلاميّةِ اليوم من التوحيدِ ؟!

وإلّا فأَيُّ شريعةٍ ستطبّقُ والتوحيدُ شِبْه مفقودٍ ؟!!

﴿ أَفمن أَسَّسَ بنيانَه على تقوى من اللهِ خيرٌ أَمّنْ أَسَّسَ بنيانَه على شفا جُرفٍ هارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

يقول داعيةٌ مشهورٌ بعد سنواتٍ من (الحركة) والصِّراع : « الحركاتُ الإسلاميّةُ تَشغلُ نفسَها بالاستغراقِ في الحركاتِ السياسيّةِ المحدودةِ ؛ كمحاربةِ معاهدةٍ أو اتفاقيّةٍ ، وكمحاربةِ حزبٍ أو تأليبِ خصمٍ في الانتخاباتِ عليه .

كما أَنّها تَشغلُ نفسَها بمطالبةِ الحكوماتِ بتطبيقِ النظامِ الإسلاميّ والشريعةِ الإسلاميّةِ ، بينما **المجتمعاتُ** ذاتُها قد بَعُدَتْ عن فهمِ مدلولِ العقيدةِ الإسلاميّةِ في القلوبِ والعقولِ والغيرةِ عليها وتربيةِ من يقبل هذه الدعوةَ وهذه المفهوماتِ الصحيحةَ تربيةً إسلاميّةً صحيحةً ، وعدم إضاعة الوقتِ في الأَحداثِ السياسيّةِ الجارية » [١] .

إنَّ مجتمعاتِنا اليوم - على ما فيها من صحوةٍ إسلاميّةٍ - أَمامها زمن طويلٌ تحتاجُ معه إلى « أَسلمةٍ راشدةٍ » - إنْ صحَّ التعبيرُ - حتّى تعودَ إلى تعاليمِ دينها المُستقاة من الكتابِ والسنّةِ بفهمِ سلفِ الأُمّةِ ، وحينما أَقول : « أَسلمة راشدة » فإنّي أَعني بها « سَبْكَ العبودية في كِير الامتحان طلباً لإخراجِ ما فيها من الخبثِ والغشِّ » [٢] .

كما أَنَّ الصحوةَ الّتي تعيشُها أُمّتنا لا زالت في مهدِها ، وهي بحاجةٍ إلى تربيةٍ

---

(١) « لماذا أَعدموني .. » سيد قطب (ص ٢٩) .

(٢) « مدارج السالكين » (٢ / ١٠٢) ، ط : دار الحديث .

وعنايةٍ وتوجيهٍ سليمٍ حتّى تؤتي ثمارَها المرجوَّة منها .

إنَّ هناكَ واجباتٍ عظيمةً ملقاةً على عاتقِ كلِّ من يحملُ همَّ هذا الدِّينِ ، تتمثّلُ في تربيةِ المجتمعِ تربيةً إسلاميّةً تزيلُ ما عَلِقَ في النفوسِ من عقائدَ وعاداتٍ فاسدةٍ ، كما يجبُ علينا عدمُ استعجالِ النتائجِ ، وهذا أَفضلُ وأَنفعُ للأُمّةِ من الصراعاتِ السياسيّةِ الّتي لا طائلَ من ورائِها .

يقولُ ابنُ القيّم رحمه الله تعالى - متحدّثاً حولَ موضوع التصفيةِ الّتي جعلَها رحمه اللهُ على درجاتٍ ، منها [١] - :

١ - تهذيب الخدمة - أَي : تخليصُ العبوديةِ وتصفيتُها - بأَنْ لا يخالجَها جهالةٌ ولا يشوبَها عادةٌ ..

٢ - تهذيب الحال : فإنَّ كلَّ حالٍ لا يصحبُه علمٌ يخافُ عليه أَن يكونَ من خدع الشيطان ، وهذا القدرُ هو الذي أَفسدَ على أَربابِ الأَحوالِ أَحوالَهم ، وعلى أَهلِ الثغورِ ثغورَهم وشرَّدَهم عن اللهِ كلَّ مشرَّدٍ ، وطردهم عنه كلَّ مَطْرَدٍ ، حيثُ لم يحكّموا عليه العلمَ ، وأَعرضوا عنه صفحاً حتّى قادَهم إلى الانسلاخِ من حقائقِ الإيمانِ وشرائعِ الإسلامِ » .

قلت : إنَّ الجهالةَ الّتي يعيشُها أَغلبُ الشعوبِ الإسلاميّةِ اليومَ تستحقُّ أَنْ تُكرَّسَ لها كلُّ الجهودِ ، وتستهلكَ من أَجلِها الطاقاتُ وهذا أَمْرٌ مَقْدورٌ عليه - إنْ شاءَ الله - .

أَمّا أَنْ ينشغلَ الدعاةُ بما لا يَقْدِرُونَ عليه (!) ، عمّا يقدرون عليه ! فهذا (خَلَلٌ في المنهج) وانحرافٌ في التصوُّر والتطبيق ، يجبُ معالجتُه وتصحيحُه .

والحمدُ للهِ أَوّلاً وآخراً .

---

(١) « مدارج السالكين » (ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤) بتصرّف .

الدنيا .. وحُطامُها الحلقة الثالثة

محمَّد موسى نصر

ومن الآفات القاتلة التي تصدُّ عن العلم النَّافع ، وتفسد النَّوايا ما نراه ونشاهده من تكالب كثيرٍ مِن طلَّاب العلم - إلَّا من رحم اللَّه - على حطام الدنيا الفاني وزخرفها ؛ فتراهم يتحاسدون على الدنيا ويتقاتلون ، والأَولى بهم أَنْ يتنافسوا في الآخرة كما أَمر اللَّه ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ، وقوله : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

لكن من المؤسف حقًّا أَنْ نرى طلبة العلم يتخاصمون على عَرَضٍ من أَعراض الدنيا الدنيَّة ، وهذه الظاهرة السَّيِّئة نراها بوضوح بين النَّاشرين والمؤلِّفين ، فغالبًا ما تؤدِّي إلى خصومةٍ واختلافٍ ، وربما أَدَّى ذلك إلى الهجر ، والقطيعة ، ونهش الأَعراض ، والاتهام بأَكل الحقوق، وربما وصلت الأُمور إلى رفع الشكاوى ، فيصبح هؤلاء وهؤلاء في مواقف لا يغبطون عليها ، وربَّما اجتراً عليهم السفهاء ، ونالوا منهم الشيء الكثير .

والناشرون - إلَّا من رحم اللَّه - لهم النَّصيب الأَكبر في فساد نِيَّات كثير من طُلَّاب العلم ، بسبب عروضهم المغرية ، وربَّما صنَّف بعض طلبة العلم مصنَّفاتٍ ، ورسائل ، وكُتُبًا وفق أَهواء النَّاشرين من غير قناعةٍ أَو حاجةٍ لمثل تلك المصنَّفاتِ - اللهم إلَّا التجارة الرَّابحة - غير ناظرين إلى حاجة الأُمَّة إلى مثل هذا الكتاب أَو ذاك ، خصوصًا إذا كانت دور النَّشر هذه في مرحلة التكوين ؛ فغالبًا ما تقوم على أَكتاف بعض المشهورين من طلبة العلم ، ثمَّ يقلبون لهم ظهر المِجَنِّ بعد أَكل كثيرٍ من حقوقهم ، والحمد للَّه الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا .

وقد وصل الأَمر بهؤلاء النَّاشرين أَنْ يدفعوا حقوق بعض المؤلَّفات التي لا رصيد لها في الواقع ؛ فوجدوا بعد حينٍ أَنَّ الكتاب الذي دفعوا حقوقه إِنَّما هو مجرَّد اسمٍ وعنوانٍ ؛ فأُسقط في أَيديهم .

كل ذلك سببه الهلع ، والجشع ، والتسابق على الدنيا الفانية ، حتَّى أَصبحت الأُمَّة كأَنْ لا همَّ لها إِلَّا التأليف والتصنيف ، أَمَّا تربية الأُمَّة على الإِسلام الصحيح ، ودعوة الأَجيال إِلى الصراط المستقيم - فأَصبح أَمرًا هامشيًّا أَو ثانويًّا .

وإِذا دقَّقت النَّظر في هذا الاندفاع الشديد نحو التأليف ، لا تجد إِلَّا الدنيا ، والاتِّجار بالعلم ، وقد سبَّبت هذه الحالة عند كثير من الشباب الرَّاغبين في طلب العلم الإِحباط ، والهجرة إِلى بلدان مجاورة يطلبون العلم على شيوخها ؛ لأَنَّهم تفرَّغوا لتعليم الشباب الرَّاغب في العلم .

لقد أَشار النَّبي ﷺ إِلى هذه الفتنة - أَعني (انتشار القلم) - حتَّى إِنَّ المطابع لتُلقي للعالَم كل يوم بمئاتِ الكتب والرَّسائل ، مما أَصله مخطوط ، أَو مطبوع ، أَو مقمَّش ، أَو مسروق ، والأُمَّة في كل يوم تزداد بُعدًا عن اللَّه ، وإِعراضًا عن دينه .

لقد كان السَّلف لا يعرفون إِلَّا الكتاب والسنَّة ؛ فكانوا أَهدى سبيلًا ، ونحن اليوم عندنا آلاف الكتب والمجلدات ، وما زال الدين غريبًا في ديارنا ، وفي واقعنا ، والسبب أَنَّهم - أَي : أَسلافنا - ضمُّوا إِلى العلم العملَ ؛ لأَنَّ بركة العلم العمل ، ونحن جمعنا علومًا شتَّى وحُرِمْنا بركة العلم .

فهل يعي طلَّاب العلم خطورة الوضع ، فيُعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه من التأليف ، والتربية، والتحصيل، والدَّعوة، والجهاد حتَّى يعود لهذه الأُمَّة مجدها وتاريخها المُشرق ؟!

نسأَلُ اللَّه ذلك ، والحمدُ للَّه رب العالمين .

عقوبة من حكم بغير ما أنزل الله

خالد بن علي العنبري

لمَّا كان نبذُ شريعة اللَّه الغرَّاء - المشتملة على كلِّ خيرٍ وصلاح ، الكفيلة بسعادة البشر وفلاحهم - جريمةً من أَعظم الجرائم ، وقبيحةً من أَفظع القبائح ، لما يترتب عليه من أَعظم المفاسد : من غضب الرَّبِّ - عزَّ وجلَّ - وسخطه ، وشقاء الإِنسان وانحرافه ، وانطلاق الشَّهوات وشيوع الفواحش ، وإِماتة سنن العدل ، وإِحياء معالم الجور ، وترك الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وغربة الدين وأَهله ، وضعف الأُمَّة وانهيارها ، وتسلُّط الأَعداء عليها ، وما إِلى ذلك مما لا يُنتج إِلَّا شرًّا ، ولا يُثمر إِلَّا مكروهًا - كانت عقوبةُ من حكم بغير الشريعة الإِسلامية نهايةً في العذاب والنَّكال « فإِنَّ المحرَّمات كُلَّما تغلَّظت ، تغلَّظت عُقوباتها »[1]، وإِنَّ بعض هذه العقوبات يكفي للزَّجر عن هذه الجريمة القبيحة ؛ فكيف باجتماعها ؟

والآن إِليك بيان بعض العقوبات المترتِّبة على نبذ شريعة اللَّه تعالى :

١ - الضلال والشَّقاء :

فاللَّه سبحانه ضمن الهدى والفلاح والسعادة لمن اتبع هُداه ، وآمن بكتابه وسنَّة نبيِّه ، وحكَم بهما وقدَّمهما على غيرهما ، وجعل الضلال والشَّقاء والمعيشة الضنْك في الدنيا والآخرة ، لمن أَعرض عنهما ، وحكم بغيرهما من القوانين الوضعية ، والمذاهب الجاهليَّة .

---

(١) « زاد المعاد » : (٥ / ٤١) .

قال تعالى : ﴿ فإمَّا يأتينَّكم مني هدًى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى • ومن أَعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكًا ونحشره يوم القيامة أَعمى • قال ربِّ لم حشرتني أَعمى وقد كنتُ بصيرًا • قال كذلك أَتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٣ - ١٢٥] .

قال ابن عبَّاس : تكفَّل اللَّه لمن قرأَ القرآن ، وعمل بما فيه أَنْ لا يضلَّ في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثمَّ قرأَ هذه الآية .

وقال تعالى : ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرَّحمن نقيِّض له شيطانًا فهو له قرين • وإنَّهم ليصدُّونهم عن السَّبيل ويحسبون أَنَّهم مهتدون ﴾ [الزخرف : ٣٦ - ٣٧] .

« فأَخبر سبحانه أَنَّ من ابتلاه بقرينه من الشياطين ، وأَضلَّه به إنَّما كان بسبب إعراضه وعشوه عن ذلك الذي أَنزله على رسوله، فكان عقوبةُ هذا الإعراض أَنْ قيَّضَ له شيطانًا يقارنه ، فيصده عن سبيل ربِّه ، وطريق فلاحه ، وهو يحسب أَنَّه مهتدٍ ؛ حتَّى إذا وافى ربَّه يوم القيامة مع قرينه ، وعاين هلاكه وإفلاسه قال : ﴿ يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [الزخرف : ٣٨] .

وكلُّ من أَعرض عن الاهتداء بالوحي - الذي هو ذكر اللَّه - فلابد أَن يقول هذا يوم القيامة »[١].

لقد حذَّر الخليفةُ الرَّاشدُ عمر بن الخطَّاب - رضي اللَّه عنه - الأُمَّة أَنْ تضلَّ بترك حدٍّ واحدٍ من حدود اللَّه - عزَّ وجلَّ - فكيف بمن نبذ الحدود كلَّها وراء ظهره ؟!

أَخرج البخاري عن ابن عبَّاس ، عن عمر - في حديثٍ طويلٍ - أَنَّه خطب الجمعة ، فأَثنى على اللَّه بما هو أَهله ، ثمَّ قال :

« أَمَّا بعد ، فإنِّي قائل لكم مقالةً قدْ قُدِّر لي أَنْ أَقولها ، لا أَدري لعلَّها بين يديْ

---

(١) « تحذير أَهل الإيمان » : (٧٣) .

أَجلي ، فمن عقَلَها ووعاها ، فلْيحدِّث بها حيثُ انتهتْ به راحلته ، ومن خشي أَنْ لا يعْقِلها ، فلا أُحلُّ لأَحدٍ أَنْ يكذب عليَّ :

إِنَّ اللَّه بعث محمَّدًا ﷺ بالحقِّ ، وأَنزل عليه الكتاب ، فكان ممَّا أَنزل اللَّه آية الرَّجم ، فقرأناها وعقَلْناها ووعيْناها ، رَجَمَ رسولُ اللَّه ﷺ ، ورَجمْنا بعدَهُ ، فأَخشى إِنْ طال بالنَّاسِ زمانٌ أَنْ يقول قائل : واللَّه ما نجدُ آية الرَّجم في كتاب اللَّه ، فيَضِلُّوا بترك فريضةٍ أَنزلها اللَّه ، والرَّجمُ في كتاب اللَّه حقٌّ على من زنى إِذا أُحصِنَ من الرجال والنِّساء ، إِذا قامت البينة ، أَو كان الحَبَلُ ، أَو الاعترافُ »[1].

٢ - العنت والمشقة :

إِنَّ شريعة اللَّه - عزَّ وجلَّ - وأَحكامه سهلةٌ ميسَّرةٌ لا عنتَ فيها ، ولا ضرر ، ولا مشقَّة ، ومن ثمَّ فهي صالحةٌ للتطبيق في كل زمان ومكان .

قال اللَّه تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

وقال سبحانه : ﴿ يريد الله أَنْ يخفف عنكم وخلق الإِنسان ضعيفًا ﴾ [النِّساء : ٢٨] .

وقال جلَّ ذكره : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية الأَخيرة :

« ما كلَّفكم ما لا تطيقون ، وما أَلزمكم بشيءٍ يشقُّ عليكم إِلَّا جعل اللَّه لكم فرجًا ومخرَجًا ، فالصَّلاة التي هي أَكبر أَركان الإِسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أَربعًا ، وفي السَّفر تُقصر إِلى اثنتين ، وفي الخوف يصليها بعضُ الأَئمَّة ركعةً ، كما ورد به الحديث ، وتُصلَّى رجالًا ورُكبانًا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، وكذا في النافلة في السفر إِلى القبلة وغيرها ، والقيامُ فيها يسقط لعذر المرض ، فيصليها المريضُ جالسًا ، فإِنْ لم يستطع فعلى جنبه ، إِلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر

---

(١) « البخاري » : (٦٤٤٢) .

الفرائض الواجبات » اهـ .

بل إِنَّ صفة صاحب هذه الشريعة ﷺ في الكتب المتقدمة ﴿ ويضع عنهم إِصرهم والأَغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأَعراف : ١٥٧] ، « أَي أَنَّه جاء بالتيسير والسماحة - كما يقول ابن كثير - وقد كانت الأُمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيقٌ عليهم ، فوسَّع اللَّه على هذه الأُمَّة أُمورها وسَهَّلها لهم » .

بل إِنَّ اليُسْرَ ورفع الحرج هو إِحدى القواعد الخمس التي بُني عليها الفقه الإِسلامي ، فالذين يعدلون عن هذه الشريعة السمحة يشقُّون على أَنفسهم وعلى شُعوبهم .

إِنَّ القوانين الوضعية - في حقيقة أَمرها - كلها حَرَجٌ وعنتٌ ومشقةٌ ، وإِنْ لاح لبادي الرأي سهولتها ويُسرها ، إِذ لا يستطيع أَحدٌ أَنْ يزعم أَنَّ الشارع الوضعي أَرحمُ بالنَّاس من ربِّ النَّاس ، أَو أَنَّه أَعلم بمصالح النَّاس من ملك النَّاس .

وإِذا كان من سُنَّة اللَّه التي لا تتبدل ولا تتخلف أَنَّ الجزاءَ من جنس العمل ، فإِنَّ اللَّه - عزَّ وجلَّ - يشقُّ مشقةً كبيرةً على من شقَّ على الأُمَّة المحمديَّة ؛ بتبديله شرعَ اللَّه الميسَّر المشتمل على كل خير ، وحسبه دعوة نبيِّ هذه الأُمَّة بالمشقَّة والنَّكال والعذاب الشديد .

عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقولُ في بيتي هذا : « اللَّهم ، مَنْ ولي من أَمر أُمَّتي شيئًا فَشقَّ عليهم فاشقُق عليه ، ومن ولي من أَمر أُمَّتي شيئًا فرفَقَ بهم فارْفق به » رواه مسلم .

ورواه أَبو عوانة في « صحيحه » ، وقال فيه : « من ولي منهم شيئًا فشقَّ عليهم فعليه بَهْلةُ اللَّه ، قالوا : يا رسول اللَّه ، وما بَهْلةُ اللَّه ؟ قال : لعنةُ اللَّه » .

٣ - الفساد العام :

إِنَّ في تحكيم شريعة الرَّسول ﷺ صلاحًا شاملًا ، وفلاحًا عامًّا للفرد والمجتمع

والحياة بأَسرها ؛ لأَنَّها شريعة الخالق وأَحكامه ، العليم بما يصلحهم ، والخبير بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، والرحيم بهم ، والمحسنُ إليهم ، والمتفضل عليهم ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٤] .

« ومن المعلوم عند جميع العقلاء أَنَّ الرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - هم أَعقل الخلق ، وعقولهم أَكمل العقول ، ولهذا كان ما جاءوا به فوق عقول البشر[١]، ولهذا حصل على أَيديهم من الخير ما لم يحصل على أَيدي سواهم ، وصلح من أَحوال النّفوس والقلوب ، وعمارتها بالخير ، وتزكيتها بالعلم والعمل ما لم يحصل لأَحد غيرهم ، فعمارةُ القلوب والدنيا والآخرة على أَيديهم ، وكل فساد في العالم - عامًّا وخاصًّا - فإِنَّما سببه العدول عمَّا جاءوا به ومخالفتهم .

فإِذا استقرأْتَ جميعَ الشرور التي في العالم ؛ جزئيَّاتها وكلياتها ، وكل فتنة وبليَّة ورزيَّة ، رأَيتَ سببها معصيتهم ، وكلُّ خيرٍ ونعمةٍ في الدنيا والآخرة فسببه طاعتهم ، واستقرئْ هذا من زمن نوح - عليه السَّلام - إِلى ساعتك التي أَنت فيها ، وما عُذِّبت به الأُمم من أَنواع العذاب ، وما جرى على هذه الأُمَّة ، حتى ما أُصيب به المسلمون مع نبيِّهم يوم أُحد كان سببه معصية أَمره ، وللعاقل البصير عبرة في نفسه وأَحواله خاصَّة »[٢].

فحين تنتكس البشريَّة وتَشْرُد عن شريعة اللَّه ، وتتردَّى في مهاوي الضلال ، وترضى أَنْ يُقَنِّن بعضها لبعض ، فهذا أَمر وبيلُ العاقبة ، بشع الثمرة ، لا تُؤْمَن لواحقه وتبعاته .

تُرى ؛ لو أَنَّ البشريَّة كانت تطبِّق مثلًا ما شرعه اللَّه - عزَّ وجلَّ - من حدَّي الزنا وفاحشة قوم لوط ، أَكنت تسمع أَو تشاهد ما تعانيه البشرية من المعيشة الضنك ،

---

(١) فوق عقول البشر من حيث القدرةُ على الإِتيان به أَو بمثله - لأَنَّه دين اللَّه عزَّ وجلَّ - لا من حيث أَصلُ الفهم والإِدراك . (الأَصالة)

(٢) « الصواعق المرسلة » : (٤ / ٣٥٠) لابن القيِّم .

والعذاب النُّكر بسبب انتشار هذه الأَمراض الجنسية الفتَّاكة المتكاثرة والتي من أَخطرها مرض نقص المناعة المكتسبة (الإِيدز) والهربس ، وغير ذلك مما يؤدي إِلى إِفساد المجتمع ، وإِغراقه في أَوحال الرَّذيلة والفساد ؟!

٤ - تسليط الأَعداء :

فروى ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن النَّبي ﷺ قال : « كيف أَنتم إِذا وقعت فيكم خمسٌ ، وأَعوذ باللَّه أَنْ تكون فيكم ، أَو تدركوهن :

- ما ظهرت الفاحشةُ في قومٍ قطُّ ، يُعمل بها فيهم علانيةً إِلَّا ظهر فيهم الطَّاعون ، والأَوجاع التي لم تكن في أَسلافهم .

- وما منع قومٌ الزكاة إِلَّا مُنِعوا القَطر من السَّماء ، ولولا البهائم لم يُمطَروا .

- وما بخسَ قومٌ المكيال والميزان إِلَّا أُخذوا بالسِّنين وشدَّة المُؤْنة ، وجور السلطان .

- ولا حكم أُمراؤهم بغير ما أَنزل اللَّه إِلَّا سلَّط عليهم عدوَّهم ، فاستنقذوا بعض ما في أَيديهم .

- وما عطَّلوا كتاب اللَّه وسنة نبيه إِلَّا جعل بأْسهم بينهم »[1].

وهذا الحديث لا يحتاج إِلى تعليق ، فإِن الواقع الأَليم يصدِّقه بحروفه !!

ووعْدُ اللَّه - سبحانه - بالنَّصر والغلبة على الأَعداء مشروط بنصر دينه ، وإِقامة شرعه ، وتطبيق حدوده ، وإِلَّا ؛ فالهزائم السَّاحقة والذلُّ والعار ، كما قال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا إِنْ تنصروا الله ينصرْكم ويثبِّت أَقدامكم ﴾ [محمَّد : ٧] . وقال : ﴿ ولينصرنَّ الله من ينصره إِنَّ الله لقويٌّ عزيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

---

(١) حديث صحيح بشواهده ، انظر « السلسلة الصحيحة » (١٠٦) .

٥ - حلول غضب الرَّبِّ - عزَّ وجلَّ - :

ولقد اشتدَّ غضبُ الرَّبِّ - عزَّ وجلَّ - وسُخْطُهُ على القوم الذين عَرَفُوا شريعة اللَّه ثمَّ طرحوها وراءهم ظهريًّا ، واستبدلوا بها قوانين وضعية قاصرة ، وحرَموا شعوبهم موعودَ اللَّه - عزَّ وجلَّ - لمن أَقام دينه ، وحكَّم شريعته في كل صغيرة وكبيرة من النَّصر والتمكين ، والأَمن والاستقرار ، والشرف والسؤدد ، وبركة العيش وسعة الأَرزاق .

« فمن لم يعرف الحقَّ كان ضالًّا ، ومن عرفَه ولم يتَّبعْه كان مغضوبًا عليه ، ومن عرفه واتبعه فقد هُدي إِلى الصراط المستقيم ، وأَوَّلُ الشَّرِّ الضلال ، ومنتهاه الغضب ، كما أَنَّ أَوَّل الخير الهدى ، ومنتهاه الرحمة والرضوان »(١).

وعن أَبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : « أَربعةٌ يُبغِضُهُمُ اللَّه - عزَّ وجلَّ - : البيَّاعُ الحلَّافُ ، والفقيرُ المختالُ ، والشيخُ الزاني ، والإِمام الجائرُ »(٢).

ومَنْ أَشدُّ جَوْرًا ، وأَبعد ظُلمًا ممن ابتغى حكم الجاهلية الوضعية ، ورغب عن حكم الشريعة الربَّانية ؟! لقد أَربى - واللَّه - على النهاية في الظلم والطغيان ! .

قال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله فأُولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] .

٦ - مخاصمة الربِّ ومحاربته :

لقد خاصم الربَّ - عزَّ وجلَّ - وحاربه بجريمته النَّكراء ، ويكفيه خذلانًا وجهلًا وعمًى أَنْ يكون خصمَ ربِّه - تبارك وتعالى - ؛ فخُصماء اللَّه على الحقيقة هم **المعارضون لكتابه وما بعث به رسلَه بعقولهم وآرائهم** ، وإِنْ لم يكن هؤلاء خُصماء

---

(١) « الصواعق المرسلة » : (٣ / ١٠٨٩) .

(٢) حديث صحيح ، انظر - له - « السلسلة الصحيحة » (٣٦٣) .

اللَّه ، فمن هم خُصماؤه غيرهم ؟! ولا يستوي من خاصم بكتاب اللَّه ، وحاكم إليه ، وعوّل عليه ، ومن خاصم كتابَ اللَّه ، وحاكم إلى القوانين الوضعية التي أفرزتها زبالاتُ أذهان الكفرة الفجرة المعاندين للَّه ورسله .

عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « من حالت شفاعتُه دون حدٍّ من حدود اللَّه - عزَّ وجلَّ - فقد ضادَّ اللَّه في أمره ، ومَنْ مات وعليه دَيْنٌ فليس بالدينار ولا بالدرهم ، ولكنها الحسنات والسيِّئات ، ومن خاصم في باطلٍ - وهو يعلمه - لم يزل في سخط اللَّه حتَّى ينْزِعَ ، ومن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه اللَّه رَدْغَةَ[1] الخبال حتى يخرجَ مما قال ، وليس بخارجٍ »[2].

إنَّ من يمنع بوساطته إقامة حدٍّ واحدٍ من حدود اللَّه - جلَّ وعلا - يكون مضادًّا للَّه ومخاصمًا ومعاديًا ، فكيف بمن عطَّل جميع الحدود والشرائع ؟! هذا يحكم فيه ربُّ العالمين ، وإله الأوَّلين والآخرين .

٧ - حبوط الأعمال :

قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النَّبيِّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتُم لا تشعرون ﴾ [الحجرات : ٢] .

« فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته ﷺ سببًا لحبوط أعمالهم ، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عالمين على ما جاء به ، وحاكم إليها ، أليس هذا أوْلى أنْ يكون محبِطًا لأعمالهم ؟

فاللَّه - عزَّ وجلَّ - لولا أنَّه علم أنَّ **نظام العالَم في الدين والدنيا معًا لا يقوم إلَّا بهذه الشريعة الجامعة المانعة العادلة** تمام العدل ، لبعث رسولًا ينسخُ منها ما لا يوافق

---

(١) الردغة : الوحل الشديد ، قال الخطابي : « ردغة الخبال : عصارة أهل النَّار » .

(٢) حديث صحيح ، انظر - له - « الإرواء » (٢٣١٨) .

هذا الزَّمان - بزعم المارقين - كما كان يفعل قبل ، فلما جعلَ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ خاتم النَّبيين ، فلم يرسل بعده من رسولٍ ، كان [ذلك] دليلًا أيَّ دليلٍ على أنَّ هذه الشريعة وافية كافية ، كاملة شافية ، كافلة بجميع المصالح دينًا ودنيا ، لا نحتاج معها إلى شيء من آراء الرجال وسياساتهم ، إلَّا فيما يكون استيضاحًا للحقِّ الذي يرضاه اللَّه ورسوله بعد معرفة مقاصد الشرع تمام المعرفة .

ولذلك كان تقديم آراء الرجال وعقولهم وأذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة المنابذة لسياسات الشريعة الحقَّة الصحيحة - محبطًا للعمل البتَّة ، وربما كان ردَّةً ومروقًا عن الأُمَّة الإسلامية والملَّة الحنيفية »[1] إذا كان ذلك جحودًا واستحلالًا ومعاندةً وكرهًا للكتاب والسنَّة ، وما جاء به خير البرية .

قال تعالى : ﴿ ذلك بأنَّهم كرهوا ما أنزلَ اللهُ فأحبط أعمالهم ﴾ [محمَّد : ٩] .

وقال سبحانه : ﴿ ذلك بأنَّهم اتبعوا ما أسخطَ اللهَ وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ [محمَّد : ٢٨] .

٨ - الجنَّة عليه حرام :

إي وربِّي ؛ إنَّه لن يَريح رائحةَ الجنَّة ، وإنَّ عَرْفها يوجدُ من مسيرة كذا وكذا ، جزاءً وفاقًا ، إذ إنَّه حَرَمَ الأُمَّة النَّعيم والأمن ورغد العيش المترتب على تحكيم شريعة العلي الكبير سبحانه ، فلقد غشَّ الأُمَّة حينما حاد بها عن الشريعة الإلهية ، والأحكام الربَّانية .

عن مَعْقِل بن يَسَار المُزَني - رضي اللَّه عنه - قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « ما من عبدٍ يسترعيه اللَّه رعيةً ، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلَّا حرَّم اللَّه عليه الجنَّة » [متفق عليه] .

وهذا الحديث ينبغي أن يُفهم على قاعدة أهل السنة في الوعد والوعيد .

وقوله - عزَّ وجلَّ - : ﴿ إنَّ الله لا يغفر أنْ يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن

---

(١) « تحذير أهل الإيمان » : (١١٢ - ١١٣) بتصرف .

يشاء ﴾ فلا يستفاد منه كُفر من غشَّ الرعية ، بل هو في خطر المشيئة ؛ إِمَّا أَن يعفو اللَّه عنه ، وإِمَّا أَنْ ينفذ وعيده ، فتحرم عليه الجنَّة إِلى وقت يطولُ أَو يقصر ، فيدخل النَّارَ ، ويمسُّه فيها سوءُ العذاب ، ثمَّ يخرجُ منها .

هذا إِذا لم يصاحب غشَّه للرعية جُحودٌ أَو نكرانٌ لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وقد حمَلَه بعضهم على المستحلِّ ، والأَوْلى حملُه على غير المستحلِّ كما يقول الحافظ ابن حجر : « ومما يؤيد ما ذهبنا إِليه ما قد وقع في رواية لهذا الحديث في « صحيح مسلم » بلفظ : « لم يدخل معهم الجنَّة » وهو يؤيد أَنَّ المراد أَنَّه لا يدخل الجنَّة في وقت دون وقت »[١].

٩ - محرومٌ من الشفاعة :

إِنَّه غيرُ أَهلٍ للشفاعة المحمَّديَّة ، أَوَ يشفعُ الرَّسول ﷺ في منْ أَعرضَ عن شريعته وسنَّته الغرَّاء ، وحاكم أُمَّته إِلى قوانين الجاهلية البتراء ، وسنن اليهود والنَّصارى عُبَّاد الأَهواء ؟؟ وما أَفقره في ذلك اليوم العصيب إِلى شفاعة الشفعاء ! .

فحدَّث أَبو أُمامة - رضي اللَّه عنه - عن محمَّد رسول اللَّه ﷺ ، قال : « صنفانِ من أُمَّتي لن تنالهما شفاعتي ، إِمامٌ ظلومٌ غشوم ، وكلُّ غالٍ مارق »[٢].

وأَظلمُ أَهل الظُّلم مَنْ حالَ بين الأُمَّة وبين ما تشتهي وتحبُّ وتؤمِّلُ من تحكيم الشرع المطهر الكفيل بالخير والفلاح ، والفوز والصَّلاح ، وسعادة الدنيا والآخرة جميعهما . ﴿ ومن لم يحكم بما أَنزل الله فأُولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] .

١٠ - الخزي والنَّدامة والعذاب يوم القيامة :

أَخرج البخاريُّ عن أَبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : « إِنَّكم ستحرصون على الإِمارة ، وإِنَّها ستكون ندامةً يوم القيامة ، فنعم المرضعةُ ، وبئستِ الفاطمةُ » .

---

(١) انظر « فتح الباري » : (١٣ / ١٣٧) .

(٢) حديث حسن ، انظر « السلسلة الصحيحة » (٤٧٠) .

وهذا الحديث يُبيِّن محبَّة النّفوس الإنسانية للإمارة والرئاسة ، لما فيها من نيل حظوظ الدنيا ولذّاتها ، فنعم المرضعة هي ، فإنّها تدرُّ المال والجاه ونفاذ الكلمة وجميع المنافع واللذات العاجلة ، وبئست الفاطمة ، فإنّها إذا انقطعت عنه بالموت أو العزل انقطعت عنه اللذائذ والمنافع ، وتبقى عليه الحسرةُ والنّدامةُ ، فلا ينبغي للعاقل أن يلمَّ بلذاتٍ يتبعها حسرات .

أَضغاثُ أَحلامٍ وظلٌّ زائلٌ إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يُخْدَعُ

ولذلك ورد النّهي عن طلب الإمارة والرئاسة وعن الحرص عليها ، في أَحاديثَ كثيرةٍ :

فعن أَبي موسى - رضي اللّه عنه - قال : « دخلت على رسول اللّه ﷺ أَنا ورجلان من بني عمّي ، فقال أَحد الرَّجلين : يا رسول اللّه ، أَمِّرنا على بعض ما ولّاك اللّه - عزَّ وجلَّ - وقال الآخر مثلَ ذلك ، فقال : « إنّا واللّه لا نولّي على هذا العمل أَحدًا سأَله ، ولا أَحدًا حَرَصَ عليه » [متفق عليه] .

قال العلماء : والحكمة في أَنّه لا يولّى من سأَل الولاية أَنّه يوكل إليها ولا تكون معه إعانة[1]، كما صرّح به في حديث عبدالرحمن بن سَمُرَة ، قال : قال لي رسول اللّه ﷺ : « يا عبدالرحمن ، لا تسأَل الإمارة ؛ فإنّك إنْ أُعطيتَها عن مسألةٍ وُكلتَ إليها ، وإن أُعطيتَها عن غير مسألةٍ أُعنتَ عليها » [أَخرجه الشيخان] .

فهذا الحرصُ على الرئاسة لا يَعقبه إلّا النّدامة ، ولا يورث إلّا الحسرة ، لمن لا يعملُ فيها بالحق وبما ينبغي ، وليس الحقُّ إلّا ما أَنزلَ اللّه على رسوله ﷺ ، والدليلُ على هذا التقييد ما أَخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، عن أَبي ذرٍّ - رضي اللّه عنه - قال :

« قلتُ : يا رسول اللّه ، أَلا تستعملني ؟ قال : فضربَ بيده على منكبي ، ثمَّ

---

(١) « شرح صحيح مسلم » : (١٢ / ٢٠٧) للنووي .

قال : يا أَبا ذرٍّ ، إِنَّك ضعيف ، وإِنَّها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ إِلَّا من أَخذها بحقِّها ، وأَدَّى الذي عليه فيها » .

يقول النووي - رحمه اللَّه - : « هذا الحديثُ أَصلٌ عظيمٌ في اجتناب الولايات ، لا سيَّما لمن كان فيه ضعفٌ عن القيام بوظائف تلك الولاية ، وأَمَّا الخزي والنَّدامة ، فهو في حقِّ منْ لم يكن لها أَهلًا ، أَو كان أَهلًا ولم يعدلْ فيها ، فيُخزيه اللَّه تعالى يومَ القيامة ، ويفضحه ، ويندم على ما فرط ، وأَمَّا من كان أَهلًا للولاية ، وعدل فيها ، فله فضلٌ عظيم تظاهرت به الأَحاديث الصحيحة »(١).

وليس الخزيُ والنَّدامةُ فحسب ، بل النَّارُ أَيضًا تنالُ كلَّ من لم يحكم بما أَنزلَ اللَّه(٢).

وعن بريدة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « القضاةُ ثلاثةٌ ؛ اثنان في النَّار ، وواحدٌ في الجنَّة :

- رجلٌ عرف الحقَّ فقضى به فهو في الجنَّة .
- ورجلٌ عرف الحقَّ ، ولم يقضِ به ، وجارَ في الحكم فهو في النَّار .
- ورجلٌ لم يعرف الحقَّ ، وقضى للنَّاس على جهلٍ فهو في النَّار »(٣).

فما أَصبره على النَّار ! هذا الذي يحكمُ بالقوانين الوضعيَّة الجائرة ، ويأْمر نوَّابه وقضاته أَنْ يحكموا بها ولا يخرجوا عنها .

ولمَّا كان الحكمُ والقضاءُ مسئوليةً عظيمة ، وغوائله كثيرة ، والسَّلامة فيه

---

(١) « شرح صحيح مسلم » : (١٢ / ٢١٠) للنووي .

(٢) فإِنْ كان جاحدًا للشرع المطهَّر ، مكذِّبًا له أَو مستهينًا به ، مستحلًّا الحكم بالقوانين الوضعية ، أَو مُؤْثِرًا لها على الشريعة الربَّانيَّة ، فهو من الخالدين في نار جهنَّم ، وإِنْ كان معتقدًا للإِسلام ، ووجوب تحكيم ما أَنزل الرحمن ، ومُؤْثِرًا له على غيره ، فعدل عنه هوًى ومعصيةً ، أَو خوفًا ورجاءً ، فهو في خطر المشيئة الإِلهية .

(٣) حديث حسن بشواهده ، انظر « إِرواء الغليل » (٢٦١٣) .

بعيدة ، نفر السَّلف عنه نفورًا عظيمًا ، وامتنعوا منه أَشدَّ الامتناع .

قال مكحول : « لو خُيِّرت بين القضاء وضرب عنقي ، لاخترتُ ضربَ عنقي ولم أَختر القضاء » .

وقال الفُضيل : « ينبغي للقاضي أَنْ يكون يومًا في القضاء ، ويومًا في البكاء على نفسه » .

وعُرض على الحسين بن منصور النيسابوري قضاء نيسابور ، فاختفى ثلاثة أَيَّامٍ ، ودعا اللَّه تعالى ، فمات في اليوم الثالث .

وقد امتنع عنه أَبو حنيفة ، والشافعي ، وكثير من السَّلف .

وممن اشتهر عنه ذلك أَبو قلابة عبداللَّه بن زيد الجرمي تلميذ ابن عبَّاس ؛ فإِنَّه طولب بالقضاء على الشام ، فامتنع منه وهرب إِلى مصر ، وذهبت يداه ورجلاه ، وثقل سمعه وبصره .

وذكر حكايته تفصيلًا ابن حبَّان في كتاب « الثِّقات » .

وروى وكيع في كتاب « أَخبار القضاة » بإِسناده عن محمَّد بن سيرين ، قال : « كنت عند عتبة بن عبداللَّه ، وبين يديه كانون فيه نارٌ ، فجاءه رجلٌ ، وجلسَ على فراشه ، وسارَّه بشيءٍ لم نَدْرِ ما هو ، فقال عتبةُ لهذا الرجل : ضع إِصبعك في هذه النَّار ! فقال الرجل : سبحان اللَّه ! أَتأْمرني أَن أَضع إِصبعي في هذه النَّار ؟!

قال : أَتبخلُ عليَّ بأَنْ تضع إِصبعك في نار الدنيا ، وتسأَلني أَن أَضع جسمي كلَّه في نار الآخرة ؟!

قال ابن سيرين :-فعرفنا أَنَّه سأَله أَنْ يتولَّى القضاء !

... هذا حُكْمُ الشرعِ فيمن خالَفَ الشَّرْعَ ، وحَكَمَ بنقيضِه ..

نسأَلُ اللَّهَ العفوَ والعافيةَ ، وأَنْ يُيَسِّر لشعوبِ المسلمين حُكَّامًا صالحين ، يحكمون بما أَنزلَ ربُّ العالمينَ .

العلّامة الشيخ عبدالرّزاق عفيفي
رحمه اللهُ تعالى

التحرير

رَوَى الإمامُ البخاريُّ في « صحيحه » مِن حديثِ مِرْداسَ الأَسلميِّ رضي اللهُ عنه ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال : « يذهبُ الصالحون ، الأَوّلُ ، فالأَوّلُ ... » ، ويقولُ اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ فإذا جاءَ أَجلُهُم لا يستأْخرونَ ساعةً ولا يَستَقْدِمُونَ ﴾ .

بِنُفوسٍ مَلأَها الحُزْنُ ، وعَمَرها التسليمُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ؛ تلقَّى المسلمونَ في مشارقِ الأَرضِ ومغاربِها نبأَ وفاةِ عَلَمٍ من أَعلامِ المُسلمين ، وعالِمٍ من عُلمائِهم الأَبرارِ ؛ وهو الشيخُ العلّامة عبدالرزّاق عفيفي رحمه الله تعالى .

وحِرْصاً مِن (**الأَصالة**) على تعْريفِ قُرّائِها بعُلماءِ المُسلمين - قُدماء ومُعاصرين ، أَحياءً وأَمواتاً - رَأَينا لِزَاماً علينا ذِكْرَ نُبذةٍ لَطيفةٍ عن هذا العَلَمِ الكبيرِ تُوقِفُهم على شيءٍ من حياتِه ، ونُتَفٍ مِن مآثِرِه وجهادِه ؛ تغمدَه اللهُ بواسعِ رحمتِه .

- اسمه عبدالرزاق بن عفيفي بن عطيّة النُّوبي .
- وُلد في شَنْشُور ، وهي قريةٌ تابعةٌ لمحافظةِ المنوفية في مصر ، سنةَ ١٣٢٣ هـ .
- تلقّى تَعْليمَه العالي في الجامعِ الأَزهرِ ، وتخرّجَ فيه سنةَ (١٣٥١) حاصلاً على الشهادةِ العالميّةِ ، ثمَّ دَرَسَ - بعد هذا - في شُعبة الفقهِ وأُصولِه طَلَباً للتخصُّصِ .
- وَاصَلَ - بَعْدُ - دارستَه ، وتَحْصيلَه ، نَهَلاً من تواليفِ أَهلِ العلمِ ، ودرايةً لكتبِهم ومصنَّفاتِهم .
- ولقد وَصَفَهُ مَن عايشَهُ وخالطَهُ - رحمه الله - بأَنّه كانَ موسوعيَّ المعرفةِ ،

مُتَنوِّعَ المَدارِكِ ، مُتَفَنِّناً في سائرِ العلومِ .

● عَمِلَ مُدرّساً في المعاهدِ الأزهريّة في مصر ، وكانَ رئيساً لجماعةِ أنصارِ السنّة المحمديّة .

ثمَّ اختارَ الهجرةَ إلى بلادِ الحَرَمين الشريفين ، فدرَّسَ في مناطقَ شتّى منها الطائفُ ، حيثُ درَّسَ في دارِ التوحيدِ بها ، ودرّسَ في الرياضِ وعُنَيزة .

وتولّى التدريسَ في كُليّة الشريعةِ في الرياضِ إبّان إنشائِها .

ثمَّ عُيِّنَ مُديراً للمعهدِ العالي للقضاءِ سنةَ (١٣٨٥ هـ) .

وفي عام (١٣٩١) انتقلَ إلى دار الإفتاءِ ، فكانَ عضواً في هيئةِ كبارِ العُلماءِ ، وفي اللجنةِ الدائمةِ للإفتاءِ ، حتّى صارَ نائباً لرئيسِها ، وذلك إلى أن تُوَفِّيَ رحمه اللهُ .

● تولّى الإشرافَ العلميّ على عَدَدٍ من الرسائلِ العلميّة العالية ؛ الدكتوراة والماجستير .

● كانَ له حَلَقاتٌ علميّةٌ في تفسيرِ كتابِ الله تعالى يُلْقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض ، ثمَّ انتقلت دروسُه إلى بيتِه .

● وكانَ يؤمُّ النَّاسَ في المسجدِ الّذي يَلي منزلَه ، وكانَ يُلْقي فيه – في أَوقاتٍ مُتباينة – الدروسَ العلميّة والمواعظَ الشرعيّة .

● كانَ صَبُوراً على البلوى ، يَلْهَجُ بالحَمدِ والثناءِ على اللهِ سبحانَه ، فقد تُوفيَ – في حياتِه ثلاثةٌ من ولدِه ، وابْتُلي بالشَّلَلِ النِّصْفيِّ قبل نَحْوِ عِشْرين عاماً ، فَصَبَرَ واحتسبَ ، ثمَّ عافاهُ اللهُ تعالى منه .

● له مِن الوَلَدِ خمسةٌ مِن الذُّكورِ ، وثلاثةٌ من الإناثِ ، سَبَقَه – منهم – إلى ربِّه ثلاثةُ ذكورٍ – كما تقدّم – .

● مِن أَحبِّ كُتُبِ العُلماءِ إليه ؛ كتابُ « المُستصفى » للغزاليِّ ، و « الموافقات » للشاطبيِّ ، و « القاموس المحيط » للفيروزآباديّ .

● كانت عنايتُه مُتوَجِّهةً إلى التدريسِ ، والتعليمِ ، الإرشادِ ، والإفْتاءِ ، مِمّا أَدّى إلى عَدَمِ تفرّغهِ للتأليفِ والتصنيفِ .

● وَمَعَ ذلك فقد طُبِعت له « مُذّكرة التوحيد » ؛ وهي رسالةٌ نافعةٌ تُمَثِّلُ إملاءاتِه الّتي كانَ يُليقها على طُلّابِه في الجامعةِ .

وله تعليقاتٌ نافعةٌ على كتاب « الإحكام في أُصولِ الأَحكام » للآمديّ .

ومِمّا يدلُّ على سَعَةِ علمِه ، ودقّةِ نَظَرِهِ ، وشُمولِ معارفِه تِلْكُم التعليقاتُ اليسيرةُ في حَجْمِها ، العظيمةُ في قيمتِها - الّتي أَودَعَها حاشيةَ « شرح العقيدةِ الطحاويّة » لابن أَبي العزِّ الحَنَفيّ في ذِكْرِ إحالاتِ شرحِه على كُتُبِ شيخِ الإسلامِ ابن تيميّة وتلميذِه ابن القيّمِ رحمه الله .

● وَصَفَهُ شيخُنا العلّامةُ الألبانيُّ بأَنّه « مِن أَفاضلِ العلماءِ ، ومِن القلائلِ الّذين نرى منهم سَمْتَ أَهلِ العلمِ ، وأَدَبَهم ، ولُطْفَهم ، وأَناتَهم ، وفِقْهَهُم » .

وقال فيه : « التقيتُه غيرَ مرّةٍ في مواسمِ الحجّ ، وكنتُ أَستمعُ - أَحياناً - إلى إجاباتِه العلميّة على استفتاءاتِ الحُجّاجِ المُتَنوِّعة ، فكانت إجاباتٍ مُحْكَمةً ، تدلُّ على فقهٍ دقيقٍ ، واتِّباعٍ ظاهرٍ لمنهجِ السَّلَفِ » .

● كانت وفاتُه - رحمه الله رحمةً واسعةً - صبيحةَ يومِ الخميسِ لخمسةِ أَيّام بَقينَ من ربيعٍ الأَوّلِ سنةَ خمس عشرة وأَربع مئةٍ وأَلف ، الموافقِ : (١ / ٩ / ١٩٩٤ م) .

وَدُفِنَ في الرِّياضِ بعد صلاةِ الجمعة .

... رَحِمَهُ اللّهُ ، وأَلْحَقَهُ بالصالحين ، وجَمَعَنا وإيّاه في حَوْضِ سيِّدِ المُرسلين ، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِه وصحبِه أَجمعين [1] .

---

(١) وللشيخِ الدكتور محمد الصَّباغ مقالةٌ في ترجمتِه ، نَشَرَتْها مجلّة « الفيصل » (عدد ٢١٥) ، استفَدْنا منها في إعدادِ هذه الترجمة ، مع زياداتٍ مفيدةٍ إنْ شاءَ اللهُ .

كلماتٌ في فهم القرآن والسنّة

فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين

لقد اطلعتُ [١] على بعضِ الأَعدادِ من مجلّة (الأَصالة) ، فألفيتُها مجلةً علميّةً مفيدةً ، لا سيّما أَنّها تتضمنُ - فيما رأيتُ من الأَعدادِ - إِجاباتٍ على الأَسئلةِ يتولّاها الشيخُ محمد ناصر الدين الأَلبانيُّ حفظه اللهُ ووفّقَه .

ولا شكَّ أَنَّ مثلَ هذه الأَجوبةِ تنفعُ الناسَ ، وأَنَّ المجلّةَ تنفعُ الناسَ إِذا استمرّت على ما شهدتُه منها ، والذي أُحبُّ أَنْ يكونَ لي في هذه المجلّةِ من كلمات هو :

حثُّ الناسِ على كتابِ اللهِ عزَّ وجلّ حفظاً ، وفهماً ، وعملاً ، كما كانَ الصحابةُ رضي اللهُ عنهم لا يتجاوزون عشرَ آياتٍ حتّى يتعلَّموها وما فيها من العلمِ والعملِ .

ويكونُ الفهمُ فهماً صحيحاً على مقتضى الحقائق الشرعيّة ثمَّ الحقائق اللُّغويَّة ، ويكون مُتلقىً إِمّا من أَفواهِ العُلماءِ الموثوقين في تفسيرِ القرآنِ أَو من كتبِ التفسيرِ الّتي كَتَبَها من يُوثقُ بعلمِه ك « تفسير ابن كثيرٍ » ، والشيخِ عبدالرحمن بنِ ناصرِ بن سعديّ ، و « تفسيرِ أَبي بكرِ الجزائريِّ » وغيرِهم ، وهي معلومةٌ مبثوثةٌ وللهِ الحمد ، وَمَنْ أَشكلَ عليه شيءٌ من ذلك فليراجع أَهلَ العلم المُطلعين على ذلك .

وأَمّا السنّةُ النبويّةُ فكذلك هي الأَصلُ الثاني الّذي تُبنى عليه الأَحكامُ الشَّرعيّةُ من عقيدةٍ وعمل ، فالقرآنُ والسنّةُ أَصلان لا تُتلقّى الأَحكامُ الشرعيّةُ إِلّا منهما ،

(١) وذلك بواسطة الأَخ المكنّى بأَبي الحسن علي بن محمد ، أَحد الطلبة الذين يتلقّون العلم في الجامع الكبير في مدينة عُنيزة .

فيحرصُ أَوّلاً على التأكّدِ من صحةِ الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أَو على الأَقلِّ من كونِه مقبولاً كالحديثِ الحسنِ ؛ لئلّا يُغترَّ بما يُنسبُ إِلى الرَّسولِ ﷺ من الأَحاديثِ الضعيفةِ أُو الموضوعةِ ؛ لأَنَّ الناظرَ في السنّة لا بدَّ له من أَمرين :

الأَمر الأَوّل : الثبوتُ عن النبيِّ ﷺ .

الأَمر الثاني : ثبوتُ الدّلالةِ على الحُكمِ .

ولْيحرص على أَن يفهمَ الأَحاديثَ الواردةَ عن النبيِّ ﷺ الّتي قَبِلَها أَهلُ العلمِ ، فيتفهَّمَها ويعملَ بمقتضاها كالقرآن سواءً .

ولْيكن حريصاً بالدرجةِ الثانيّة على ما كتبَه أَهلُ العلمِ ممّا يستنبطُ من كتابِ الله أَو سنّةِ رسولِه ﷺ .

ولْيعلم أَنَّ هذا لا يُعارِضُ ولا ينافي التمسّك بالكتابِ والسنّةِ ؛ لأَنَّ ما استنبَطَه أَهلُ العلمِ الموثوقُ بعلمِهم ودينِهم وأَمانتِهم هو من كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه ﷺ ، ولأَنّه إِذا نَظَرَ في كُتُبِ هؤلاءِ صارَ له ملكةٌ قويّةٌ في استخراجِ الأَحكامِ من أَدلتِها ؛ لأَنَّ كلامَ أَهلِ العلمِ - في أَصلِه - يكونُ مبنيّاً على قواعدِ الشريعةِ العامّةِ وأُصولِها المُحكمةِ ، فينتفعُ بذلك ويتمكّنُ من استنباطِ الأَحكامِ من أَدلّتِها ، وكم من إِنسانٍ صارَ عندَه شيءٌ قليلٌ من أَحاديث الرّسولِ ﷺ مع القرآنِ الكريمِ ، وحصلَ على أَحكامٍ كثيرةٍ لتمرُّنِه على استنباطِ الأَحكامِ من الأَدلّةِ !

وكم من إِنسانٍ عندَه شيءٌ كثيرٌ من السنّةِ لكنْ لا يستطيعُ أَن يستخرجَ أَحكاماً كثيرةً منها ؛ لأَنّه لم يتمرّنْ على ذلك ، ولم يعرفْ مسالكَ أَهلِ العلمِ في استنباطِ الأَحكامِ !

ويجبُ على مَن استبانت له سنّةُ رسولِ اللهِ ﷺ أَلّا يعارضَها بقولِ أَحدٍ من النّاسِ كائناً من كانَ ، ولكنْ إِذا جاءت الأَحاديثُ وكانَ هناك أَحاديثُ أُخرى أَصحُّ منها أَو أَقوى منها دلالةً فإِنّه يجبُ عليه أَن يتثبّتَ وأَلّا يتسرّعَ في إِصدارِ الحُكمِ من

هذه الأَحاديثِ الّتي غيرُها أَقوى منها ، وكذلك إِذا جاءَ حديثٌ يخالفُ ما كانَ عليه جمهورُ الأُمّةِ فإِنّه يجبُ عليه أَنْ يتثبتَ وأَن يتوقّفَ ، وأَنْ يتأنّى ، وأَن يتأمّلَ - فلعلّه فهم خطأً - حتّى يعرفَ أَنَّ هذا الحديثَ منافٍ لما عليه الجمهور ، وحينئذٍ يأخذُ به .

ولقد رأينا بعضَ الطلبةِ - ولا سيّما المبتدئون في علم الحديث - يتسرّعون في إِصدارِ الأَحكامِ المَبْنيّةِ على أَحاديثَ غيرُها أَقوى منها وأَصحُّ ، وأَقوى دلالةً دونَ أَنْ يتثبّتوا في هذا ، أَو يتسرّعونَ في إِصدارِ أَحكامٍ مبنيّةٍ على هذه الأَحاديث المخالفةِ لجمهورِ العلماءِ دونَ أَن يتأملوا ويتأنّوْا ، وفي هذا خَلَلٌ كبيرٌ ؛ لأَنّه من المعلومِ إِذا كانَ الحديثُ معروفاً عند أَهلِ العلمِ ثمَّ خالفَه الجمهورُ أَنّه لا بدَّ أَن يكونَ هناك شيءٌ أَوجبَ للجمهورِ أَن يخالفوه ، إِمّا مخصِّصٌ ، أَو مقيِّدٌ ، أو ناسخٌ ، أو راجحٌ .

المهمُّ أَنَّ الإِنسانَ في هاتين الحالين - أَي : فيما إِذا وجدَ أَحاديثَ مخالفةً للأَحاديثِ الصحيحةِ المعتمدةِ ، أَو أَحاديثَ مخالفةً لما عليه الجمهورُ - أَنْ يتأنّى في هذا ، وألّا يُصدرَ الحُكمَ حتّى يتبيَّنَ ويعرفَ أَنّه لا بدَّ من مُخالفةِ الأَحاديثِ الأُخرى أَو مخالفةِ ما عليه الجمهورُ .

ومن المعلومِ في مصطلحِ الحديث أَنّه لا يحكمُ بصحةِ الحديثِ إِلّا إِذا سَلِمَ من الشذوذِ ومن العلّةِ القادحةِ .

والشذوذُ أَن يخالفَ الثقةُ من هو أَرجحُ منه إِمّا في العددِ وإِمّا في قوةِ الحفظِ ، وإِمّا في قوةِ الأَمانةِ .

نسألُ اللهَ سبحانَه وتعالى أَن يوفِّقَ الجميعَ لما فيه الخيرُ ، وأَنْ يوفِّقَ هذه المجلّةَ لما فيه الصلاحُ والإِصلاح .

الاعتصامُ .. وأسبابُه

الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

إنَّ ممّا شَرَعَه اللهُ من الدينِ لهذه الأُمّةِ - وهو ما وصَّى اللهُ به نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسة ، وهو ما أَوحاهُ إلى عبدِه ورسولِه محمد ﷺ وأَمَرَه به - إقامةَ الدينِ وعدمَ التفرُّقِ فيه ؛ كما قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لكم مِنَ الدينِ ما وَصَّى بهِ نُوحاً والّذي أَوْحينا إليكَ وما وصَّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أَنْ أَقيمُوا الدّينَ ولا تتفرَّقُوا فيه ... ﴾ [الشورى : ١٣] .

واللهُ يقولُ مخاطباً الأُمةَ كلَّها : ﴿ واعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقوا واذْكُرو نعمتَ اللهِ عليكُم إِذ كنْتُمْ أَعداءً فَأَلّفَ بين قُلوبِكم فأَصبحتُم بنعمتِه إِخواناً وكنْتُم على شَفا حفْرةٍ مِنَ النَّارِ فأَنقذَكُم منها كذلكَ يُبيِّنُ اللّهُ لكم آياتِه لعلّكُم تَهْتَدون ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وإِنَّ ممّا أَنعمَ اللهُ به على هذه الأُمّةِ بعد نعمةِ الإِسلامِ ، هو جمعُ كلمتِها بعدَ التفرُّقِ ، وأُلفتِها بعد العِداءِ والشقَاقِ ، وذلك بسببِ اعتصامِها بكتابِ اللهِ ، وتمسُّكِها بتعاليمِه ، وأَخذِها بهدي رسولِ اللهِ ﷺ .

يقول ابنُ كثيرٍ في تفسير الآية ﴿ واعْتَصِموا بحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقوا ﴾ : « يعني : القران ؛ كما في حديثِ الحارثِ الأَعورِ ، عن علي مرفوعاً في صفةِ القرآن : « هو حَبْلُ اللهِ المَتين وصراطُه المُستقيم » » .

ثمَّ يُواصلُ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ في شَرْحِ هذهِ الآيةِ فيقولُ : « وقولُه : ﴿ ولا تفرَّقوا ﴾ أَمَرَهم بالجماعةِ ، ونهاهم عن التَّفرقةِ ، وقد وردتْ الأَحاديثُ المتعددةُ بالنهيِ

عن التفرُّقِ ، والأُمرِ بالاجتماعِ والائتلافِ ؛ كما في « صحيح مُسلم » من حديث سُهَيل بن أَبي صالحٍ عن أَبيه عن أَبي هُريرة أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال :

« إِنَّ اللهَ يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخطُ لكم ثلاثاً ، يرضى لكم : أَنْ تعبدوه ولا تُشْركوا بهِ شيئاً ، وأَنْ تعتصمُوا بحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تفرَّقُوا ، وأَنْ تُناصحوا من ولَّاهُ اللهُ أَمرَكم ، ويسخطُ لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرةَ السؤالِ ، وإِضاعةَ المالِ » .

وقد ضُمنَتْ لهم العصمةُ عند اتفاقِهم من الخَطأِ ؛ كما وردت بذلك الأَحاديثُ المتعددةُ ، وخِيفَ عليهم الافتراقُ والاختلافُ » ، قال : « وقد وقعَ ذلك في هذه الأُمّةِ ؛ فافترقوا إِلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، منها فرقةٌ ناجيةٌ إِلى الجنّةِ ، ومُسَلَّمةٌ من عذابِ النَّار ، وهم الّذين على ما كانَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ وأَصحابُه » .

وإِذا كانت الفرقةُ الناجيةُ المنصورةُ هي المتبعةَ لمنهجِ رسولِ اللهِ ﷺ وأَصحابِه ، تَعْتَقدُ ما يَعْتقدون ، وتعملُ كما يعملون ، وتتعاونُ على البرِّ والتقوى كما يتعاونون ، وتجاهدُ في سبيلِ اللهِ كما يجاهدون بالنفسِ والمالِ ، والقلمِ واللسانِ ، ثمَّ تسلكُ سبيلَهم ، وتهتدي بهديهم ، في جميعِ ما يأخذون ويذرون ، لا تحيدُ عن منهجِهم ، ولا تسلكُ سبيلَ غيرِهم ، وإِذا اختلفوا في شيءٍ رجعوا إِلى كتابِ ربِّهم وسنّةِ نبيِّهم ، لقولِه تعالى : ﴿ .. فإِنْ تنازَعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسولِ إِنْ كنتُم تُؤمنونَ باللهِ واليومِ والآخرِ ذلك خَيْرٌ وأَحسنُ تأويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

فهذا سبيلُ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ ، وهذا مسلكُهم حينَ تختلفُ اجتهاداتُهم ووجهاتُ نظرِهم في أَيِّ أَمرٍ مِنْ أُمورِ دينِهم ، سواءٌ في الأَحكامِ الشرعيّةِ من عقائدَ وعباداتٍ ، أَو مناهجَ دعويةٍ وسلوكٍ .

وإِنَّ المرءَ ليعجبُ حينَ يجدُ جماعةً تَنْتَسبُ إِلى الفرقةِ الناجيةِ ، وتسلُكُ مسلكَها وتدعو بدعوتِها ، ثمَّ تجدُ جماعةً أُخرى تسلكُ ذلكَ المَسلكَ ، وتدعو إِلى ما تدعو إِليه تلك الجماعةُ ، ثمَّ تختلفُ وِجْهاتُ نظرِهم واجتهاداتُهم ؛ لأَنَّ الاختلافَ

في ذلك أَمرٌ لا بدَّ من وقوعِه ، ولكنّهم مع ذلك يعجزونَ عن الرُّجوعِ إلى تلك القاعدةِ الّتي يؤمنونَ بها جميعاً عندَ التنازعِ ، وهي قولُه تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمنوا أَطيعوا اللهَ وأَطيعوا الرَّسولَ إِنْ كنتُم تُؤْمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ذلك خيرٌ وأَحسنُ تأْويلاً ﴾ [النساء : ٥٩] ، لأَنَّ التنازعَ والاختلافَ فتنةٌ وعذابٌ ونقمةٌ .

والاتفاقُ والاجتماعُ والتعاونُ على البِرِّ والتقْوى نعمةٌ ورحمةٌ ، فلماذا لا يرجعونَ إِلى تلك القاعدةِ الرَّبانيّةِ عندَ الاختلافِ ، ونحنُ نجدُ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خاطبَ أَصحابَ محمدٍ ﷺ - وهو خطابٌ للأُمّةِ كلِّها - مُمْتنّاً عليهم بذلك الاجتماعِ والائتلافِ والمحبّةِ والأُخوّةِ الإِيمانيّةِ ، بعد تلكَ الفرقةِ والاختلافِ والتنازعِ والعداوةِ والبغضاءِ السائدةِ والمُستحكمةِ بينَهم ، والّتي نالوا من ويلاتِها المصائبَ والمِحَنَ في أَنفسِهم وأَموالِهم ، فقال تعالى : ﴿ واذْكُروا نعْمَتَ اللهِ عليكُم إِذ كُنتُمْ أَعْداءً فأَلَّفَ بَينَ قلوبِكم فأَصْبَحْتُم بنعمتِه إِخواناً ﴾ .

يقولُ ابنُ كَثيرٍ رحمه اللهُ : « وهذا السياقُ في شأْنِ الأَوْسِ والخَزرَجِ ، فإِنّه كانتْ بينَهم حروبٌ كثيرةٌ في الجاهليّةِ ، وعداوةٌ شديدةٌ ، وضغائنُ وإِحنٌ وأَحقادٌ ، طالَ بسببِها قتالُهم ، والوقائعُ بينَهم ، فلمّا جاءَ اللهُ بالإِسلامِ ، فدخلَ فيه منْ دَخَلَ منهم ، صاروا إِخواناً مُتحابّينَ بجلالِ اللهِ ، متواصلينَ في ذاتِ اللهِ ، مُتعاونين على البِرِّ والتقوى ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بنصرِه وبالمُؤمنينَ وأَلَّفَ بينَ قلوبِهم لو أَنْفَقْتَ ما في الأَرضِ جميعاً ما أَلَّفتَ بين قلوبِهم ولكنَّ اللهَ أَلَّفَ بيْنَهُم ﴾ [الأنفال : ٦٢ - ٦٣] ، وكانوا على شفا حُفرةٍ من النَّارِ بسببِ كُفرِهم ، فأَنقَذَهُم اللّهُ منها ، بأَنْ هداهم اللهُ للإِيمانِ .

هكذا كانَ حالُ المجتمعِ قبل الإِسلامِ ، خلافٌ وشِقاقٌ ونِزاعٌ وفُرْقةٌ ، أَوصَلَتْهم إِلى الحروبِ المدمّرةِ المُسْتَمرّةِ ، فجمعَهم اللهُ بعدَ ذلكَ على الحقِّ ، بأَنْ هداهم للإِيمانِ وأَلَّفَ بينَ قلوبِهم ، فأَمِنَهُم به بعدَ الخوفِ ، وأَغناهم بعد الفاقةِ .

ولا أَدلَّ على ذلك من حديث عديّ بن حاتمٍ الّذي رواه البخاريُّ في علامات النبوّة [١] ، قال : « بينا أَنا عندَ النبيِّ ﷺ إِذ أَتاهُ رجلٌ فشكا إِليه الفاقةَ ، ثمَّ أَتاهُ آخرُ فشكا عليه قطعَ السبيلِ - أَي : الفقر وقُطّاعَ الطريق - فقال : « يا عَدي هل رأَيتَ الحيرةَ ؟ » قلتُ : لم أَرها ، وقد أُنبِئتُ عنها ، قال : « فإِنْ طالتْ بكَ حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أَحداً إِلّا الله » . قلت : فيما بيني وبين نفسي : فأَينَ دعّار طي الّذين قد سعروا البلاد ؟ - الدعّار : أَي : قطاعُ الطريقِ من قبيلةِ طي ، الّذين قد سعروا البلاد ؛ أَي : أَوقدوا نارَ الفتنةِ فيها .

قال - أَي النبيّ ﷺ - : « ولئنْ طالتْ بكَ حياةٌ لتُفْتَحنَّ كُنوزُ كسرى » ، قلت : كسرى بن هُرمز ؟! ، قال : « كسرى بن هُرمز ، ولئن طالت بك حياةٌ لترَيَنَّ الرَّجلَ يُخرجُ ملأَ كفِّه من ذهبٍ أَو فضةٍ يطلبُ من يقبلُه منه فلا يجدُ أَحداً يقبلُه منه » الحديث ، وفيه قال عدي : فرأَيتُ الظعينةُ ترتحلُ من الحيرةِ حتّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إِلّا اللهَ ، وكنتُ فيمن فَتَحَ كُنوزَ كسرى بن هُرمز ، قال : ولئن طالتْ بكمُ الحياةُ لترَوُنَّ ما قالَ النبيُّ ﷺ .

إِنَّ هذا الحديثَ النبويَّ يُصَوِّرُ لكَ أَيُّها القارئُ الكريمُ حالَ المجتمعِ في بدايةِ الإِسلامِ ، ودعوةَ الرَّسولِ للنّاسِ جميعاً إِلى هذا الدينِ ، كيفَ كانتْ حالتُهم ، فاقةٌ لا يجدُ الإِنسانُ ما يَسُدُّ به رَمَقَهُ ، وخوفٌ لا يأمنُ الإِنسانُ على نفسِه في دارِه في حالِ إِقامتِه ، أَو في سفرِه .

وبدخولِ الناسِ في الإِسلامِ ، أَسلمت قلوبُهم وجوارُهم ، فأَمِنَ الناسُ على أَنفسِهم وأَموالِهم ، إِذ المسلمُ من سَلِمَ المُسْلِمونَ من لسانِه ويدِه .

وإِذا كانَ - بعدَ هذا الاجتماعِ والأُلفةِ - قد حدثَ فيه هذه الأُمّةِ ما أَخبرَ به

---

(١) « صحيح البخاري » ، المناقب ، علامات النبوّة (رقم : ٣٥٩٥) ، « فتح الباري » (٦ / ٦١٠)

الصادقُ المصدوقُ ، فافترقتْ هذه الأُمّةُ إلى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً في الأَهواءِ ، وقد أَخبرَ ﷺ أَنَّ الناجيةَ من تلك الفِرَقِ واحدةٌ ، ولمّا سُئِلَ عنها قال : « هي من كانت على مِثلِ ما أَنا عليه وأَصحابي » .

وقُلنا في بدايةِ هذا الحديثِ : إِنَّ الفرقةَ بحمدِ الله موجودةٌ ، ودعوتَها واحدةٌ ، وهي التمسُّكُ بالكتابِ والسنّةِ ، ولكن نجدُ الخلافَ بين هذه الجماعةِ الّتي دعوتها واحدةٌ ، وأُصولُها واحدةٌ ، وإِنّما الخلافُ بينها في اجتهاداتِها ووِجهاتِ نظرِها ، ولم تستطع الرُّجوعَ إلى الأَصلِ الّذي نصَّ على القاعدةِ الّتي تُرجعُ إِليها عندَ الاختلافِ وهو قولُه تعالى : ﴿ .. فإِنْ تنازعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسولِ إِنْ كُنتُم تُؤمِنُونَ باللهِ .. ﴾ لا سيّما والخلافُ ناتجٌ عن اجتهاداتٍ ووجهاتِ نظرٍ أَكثرُها يعودُ إِلى منهجِ الدعوةِ والتوجيه .

والسؤالُ هو : ما سببُ عدمِ استطاعةِ هؤلاءِ الرُّجُوعَ إِلى هذهِ القاعدةِ الرَّبانيّةِ لحلِّ ما يعترضُ هؤلاءِ السائرين على منهجِ الفرقةِ الناجيّةِ من خلافٍ حسبِ دعوى الجميعِ ؟

وبالتّأمّلِ والدراسةِ يظهرُ لي – واللهُ أَعلمُ – أَنَّ سَبَبَ ذلك يعودُ لأُمورٍ أَهمُّها :

أَوّلا : عدمُ تطبيقِ قولِه تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمنُوا إِنْ جاءَكُم فاسقٌ بِنَبأٍ فَتَبيَّنُوا أَنْ تُصيبوا قوْماً بجهالةٍ فتُصبِحوا على ما فَعَلْتُم نادمين ﴾ [الحجرات : ٦] .

فكثيراً ما يُنقلُ عن جماعةٍ أَو شخصٍ إِلى جماعةٍ أُخرى أَو إِلى شخصٍ آخرَ أَقوالٌ ، لو طُبّقت عليها الآيةُ لتبيَّنَ أَنَّ ما نُقِلَ إِمّا غيرُ صحيحٍ أَصلاً ، أَو نُقلَ بصورةٍ على غيرِ الصورةِ الّتي قيلت ، وذلك النقلُ إِمّا لقصدِ سيءٍ – وما أَكثرَ وقوعَه – ، وإِمّا لعدمِ فهمِ لِما قيل ، وعدمُ التثبّتِ في ذلك مخالفةٌ لهذا التوجيه الرَّبانيِّ في قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمنوا إِنْ جاءَكُم فاسقٌ بِنَبأٍ فَتَبيَّنُوا ﴾ .

بل يأَخذونَ ذلك الخبرَ مُسلَّماً ، ولو بُحِثَ الموضوعُ وتُثبّتَ فيه لَوُجِدَ لصاحبِه

ما يُحملُ عليه كلامُه من أَوجهِ الخيرِ لقولِ عمر بن الخطّابِ رضي اللهُ عنه : ولا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أَخيكَ المؤمنِ إلّا خيراً ، وأَنتَ تَجدُ لها في الخيرِ محملاً .

وبذلك يبقى حبلُ الأُخوّةِ موصلاً ، ولكن لا يفعلونَ ذلك ، فَيَنْمُو بذلك النقلِ الخاطئِ عند هؤلاءِ وهؤلاءِ التوجّسُ والشكوكُ وسوءُ الظَنِّ بالجماعةِ الأُخرى .

ومعلومٌ أَنَّ هذا العملَ ليسَ من أَخلاقِ ولا منهجِ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ - أَعني نقلَ الكلامِ من جماعةٍ إلى أُخرى - ؛ لأَنّه إذا كانَ الكلامُ المنقولُ صحيحاً فهو الغيبةُ والنميمةُ ، وقد نهى الرَّسولُ ﷺ عن ذلك وشدّدَ فيه ، لأَنّه إفسادٌ لقلوبِ النّاسِ ، وإثارةٌ للفتنِ والبغضاءِ والإحَنِ والأَحقادِ بينهم .

أَمّا إذا لم يكن الكلامُ المنقولُ صحيحاً ، فهو بُهتٌ ، فقد روى أَبو داود والترمذيُّ من حديث أَبي هريرة قال : قال : يا رسولَ اللهِ ما الغيبةُ ؟ قال : « ذِكْرُك أَخاكَ بما يكرهُ » ، قيل : أَفرأيتَ إنْ كانَ في أَخي ما أَقولُ ؟ قال ﷺ : « إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَه ، وإنْ لم يكن فيه ما تقولُ فقد بَهتّه » رواه الترمذيُّ ، وقال : حسن صحيح .

وكذلك ليس من منهجِ ولا أَخلاقِ الفرقةِ الناجيةِ وآدابِها تقبُّلُ الكلامِ المنقولِ إليها من غيرِ تثبُّتٍ من صحتِه ، كما سبقَ نصُّ الآيةِ الآمرةِ بالتثبُّت .

السبب الثاني : وهو مترتبٌ على السببِ الأَوّلِ ؛ وهو عدمُ التثبّت فيما يُنقل .

وذلك أَنَّ هناك أَيدٍ خفيّةً تدفعُ العناصرَ الطيبةَ الّتي تُريدُ فعلَ الخيرِ وعملَه ، وهذه الأَيدي لا تُريدُ إلّا تفريقَ الكلمةِ وتشتيتَ الصفِّ ، وبثَّ الفرقةِ حسداً وبغياً وتفريقاً لكلمةِ هذه الجماعةِ ، والقضاءَ على البقيةِ الباقيةِ من تعاليمِ هذا الدين .

والمتتبعُ لما يُنشرُ أَو يُذاعُ أَو يُكتبُ لمحاربةِ هذه الجماعةِ تجدُه منصبّاً على إثارةِ الغيورين - لا سيّما الشبابُ المُتحمّسُ للإسلامِ ونَشْرِ تعاليمِه - ، فتجدُ هؤلاءِ الكتّابَ يبحثونَ عن هفواتِ هذه الجماعةِ ، وما يحدثُ منها بين حينٍ وآخر ، فيطعنونَ به على

القائمين على أُمورِ المُسلمين ، وعلى العلماءِ الملتزمين بمنهجِ السلفِ وفهمهم لنصوصِ الشريعةِ الإسلاميّةِ ، فيتّهمونَهم بالمحاباةِ وعدمِ قَبولِ الحقِّ ، فيثيرونَ الشبابَ على عُلمائِهم ، ويقطعونَ صلتَهم بهم والاستفادةِ من علمِهم وتجاربِهم .

وهذه جريمةٌ في حقِّ الشبابِ الأَبرياءِ ، ستظهرُ نتائجُها الخطيرةُ على أَفكارِهم بعد حين ، وهؤلاءِ العلماءُ لم يقولوا يوماً من الأَيّامِ : إنّهم معصومون من الخطأِ ، وإنَّ العاملين على أُمورِ المُسلمين بمنزلةِ الخلفاءِ الرّاشدين ، ولكنّهم يتبعونَ منهجَ السلفِ في قواعدِ الأَمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ .

ويفرّقونَ بين من يُحكّمُ شرعَ اللهِ في أَرضِه وعلى عبادِه ، ويخطئُ في بعضِ الأُمورِ ، ولكنّه لم يرتكب كُفراً بَواحاً فيه من اللهِ بُرهانٌ - كما جاءَ في « صحيح البخاريّ » - وبين من يَحكُمُ بالقوانين الوضعيّةِ ولا يُلقي لكتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه ﷺ بالاً .

ومن هنا ؛ فإنَّ علماءَ هذه الفرقةَ الناجيةَ المنصورةَ يزنونَ الأُمورَ بموازينِ الشرعِ ، ويرونَ أَنّه من الواجبِ العملُ على إكمالِ النقصِ بالطرقِ الشرعيّةِ ، وبالوسائلِ الّتي يُتَوصّلُ بها إلى إكمالِ الناقصِ عن طريق النصحِ والمشورةِ على ضوءِ قولِه ﷺ : « الدينُ النصيحةُ ثلاثاً » . قُلنا : لمن يا رسولَ الله ، قال : « للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأَئمةِ المُسلمين وعامتِهم » .

ثمَّ إنَّ المتتبعَ لبعضِ الوسائلِ - الّتي تدفعُ العناصرَ الطيبةَ لا سيّما الشبابُ المسلمُ الملتزمُ - يجدُ أَنَّ هذه الوسائلَ يتخذُ بعضُ أَصحابِها مقرّاً له عند أَلَدِّ أَعداءِ الإسلامِ والّذين يحاربونَ الدعوةَ الصحيحةَ ، دعوةَ الفرقةِ الناجيةِ المنصورةِ المأَخوذةِ من الكتابِ والسنّةِ وفهمِ السلفِ الصالحِ لنصوصِ الشريعةِ ، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، فهل يقبلُ عاقلٌ ينظرُ في الأُمورِ ببصيرتِه ، أَنَّ أَعداءَ الإسلامِ يفتحونَ صدورَهم ويسمحونَ بفتحِ البابِ على مصراعيه لدعوةٍ تدعي أَنّها تُريدُ أَن تُعيدَ للإسلامِ مجدَه ودولتَه الّتي فتحت

العالمَ ونشرت عقيدةَ الإسلامِ ، وقضت على دولِ الكفر والطغيان ؟!! أَلا يدركُ العاقلُ ببصيرتِه أَنَّ عدوَّ الإسلامِ ، وعدوَّ نبيِّ الإسلامِ ، وتعاليمِ الإسلامِ ، لا يمكنُ بأيِّ حالٍ من الأَحوالِ أَن يفسحَ المجالَ لدعوةٍ تُريدُ إعادةَ الإسلامِ لسابقِ مجدِه ، وإنّه إنّما يفسحُ المجالَ للدعوةٍ يستفيدُ منها في القضاءِ على دعوةِ الإسلامِ الصحيحةِ ، ولكن باسم الإسلامِ وباسم الدعوةِ إليه ، سواءٌ شعرَ المستجيبون لهذه الإيحاتِ أَو لم يشعروا .

وما تكالبُ أَعداءِ الإسلامِ على القضاءِ على مُسلمي البوسنةِ والهرسك ببعيد على مَنْ يعقلُ الأُمورَ ، ويعرفُ أَهدافَ أَعداءِ الإسلام ومخططاتِهم ، وأَنّهم لا يسمحون لدعوةٍ صحيحةٍ سليمةٍ للإسلام أَن تقومَ في ديارِهم .

ولكنَّ أَهلَ النيّاتِ الطيبةِ والقلوبِ السليمةِ ، يثقونَ في من يظهرُ الحماسَ والأَسى على الإسلامِ وما يناله ويُنْقِصُ من شأنِه ، فيتقبّلُ ما يسمعُه ، دونَ الرُّجوعِ إلى القاعدةِ الشرعيّةِ لوزنِ الأُمورِ بموازينِ الشريعةِ وقواعدِها .

واللهُ الهادي إلى سواءِ السبيل .

وضوح الغاية ... وأثره في استقامة المسلم

ضياءالدين شهاب الدين

خَلَقَ اللَّهُ الإنسانَ ، وحمَّله الأَمانة ، ووعده وعدًا يفوز به إن هو قام بحمل الأَمانة كما يرضى الخالق ، وأَخبره أَنَّه في الأَرض إلى حين ! وهذا الوعد أَن يعيده إلى الجنَّة التي أُخرجَ منها آدم ، فجاء الشيطان وشغل الإنسان بأَهدافٍ دنيويةٍ رخيصةٍ تافهةٍ ، وأَنساه الغاية الحقيقية التي ينبغي أَن يَنشدها ، والوجهة التي عليه أَنْ يقصدها .

ولا شكَّ أَنَّ كلَّ إنسان له غايةٌ ما ، هذه الغاية هي التي تحرِّكه في خِضَمِّ هذه الحياة ، وتُملي عليه سلوكه وتصرُّفاته ، لا فرق في ذلك بين عالمٍ وجاهلٍ ، ولا بين مؤمنٍ وكافرٍ ، ولا بين تقيٍّ وفاجرٍ ، فالجميع لهم غايات يلهثون وراءها ، أَلا ترى ذلك واضحًا في حياة النَّاس جميعًا ؟!

والآن نسأَل : ما هي الغاية للمسلم الصادق في إسلامه ؟

والجواب بكل بساطة : الغاية هي الجنَّة ولا شيء غيرها ، وإنْ شئت قل : هي (رضوان اللَّه سبحانه وتعالى) ، أَو اللحاق بالرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام على الحوض ، فالمؤدَّى واحدٌ ، وبكل هذه الأَلفاظ جاءت نصوص الكتاب والسنَّة كما سيرى القارئ الكريم .

ونحنُ نقصدُ بكلمة (الجنَّة) هذه المعاني كلَّها ؛ فكلمة (الجنَّة) في اصطلاح القرآن عَلَمٌ على النَّعيم الأُخروي الذي جاوز حدود الدنيا الفانية ، وفي القرآن آيةٌ حوت هذه المعاني جميعَها وهي قوله تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنَّات

تجري من تحتها الأَنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنَّات عدن ورضوان من الله أَكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ٧٢] .

فالجنَّة من اللَّه تعالى هبةٌ وموعودٌ ، وللمسلم غايةٌ ومقصودٌ .

ولكي تصبح الأُمور واضحة أَكثر ، فإِنَّ علينا أَنْ نبحث النِّقاط التالية :

أَوَّلًا - الغاية في القرآن الكريم :

الآيات الدَّالَّة على أَنَّ الغاية هي الجنَّة أَكثر من أَنْ تُحصىٰ في القرآن الكريم ، وتأْتي بأَساليبَ مختلفة ، وصور متنوعة :

□ ففي مواضع كثيرة بعدما تُوصف الجنَّة ، ويُذكر ما فيها من نعيم ، يعقّب اللَّه سبحانه بقوله : ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ ونحو هذه العبارة .

فهذه إِشارة واضحة إِلى أَنَّه لا غاية جديرة بالتفكير ، والتخطيط لها ، والعمل من أَجل الحصول عليها سوى الجنَّة ، وإِليها ينبغي أَنْ تتجه الأَنظار والأَفكار .

□ في سورة الصَّافَّات وُصفت الجنَّة بعدة آيات، ثمَّ جاءَ التعقيب بهذه الجملة : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ .

□ وفي سورة المطففين أُوضح الأَمر أَكثر فقال اللَّه تعالى : ﴿ وفي ذلك فلْيتنافس المتنافسون ﴾ .

فالقرآن ينادي البشر جميعًا قائلًا : ليس هناك غاية تصلح أَنْ تعملوا لها إِلَّا الجنَّة ، وكل هدف بعد الجنَّة حقير .

□ وفي سورة آل عمران : ﴿ وسارعوا إِلى مغفرة من ربكم وجنَّة عرضها السموات والأَرض .. ﴾ .

□ وفي سورة الحديد : ﴿ سابقوا إِلى مغفرة من ربِّكم وجنَّة عرضها كعرض السماء والأَرض ﴾ .

بل إِنَّ القرآن الكريم ليحرص أَشدَّ الحرص على أَنْ لا تلتبس هذه الغاية بغيرها من الرَّغبات التي قد يظنُّها المسلمون مطلوبة لذاتها ، في حين أَنَّها لا تُراد لذاتها ؛ وإِنَّما هي نتيجة لا غاية ، وذلك مثل النصر في معركة إِسلامية .

فالنَّصر – وهو أَعلىٰ غاية دنيوية يمكن أَنْ تداعب خيال المسلمين – لا يصحُّ بمفرده أَنْ يكون غاية المسلمين ؛ وإِنَّما هو مجرد نتيجة ، وفرقٌ كبيرٌ بين الغاية التي تُقصد ، وبين الثمرة أَو النتيجة التي يكافئ اللَّه بها عباده المخلصين .

هذه الحقيقة – أَعني عدم الخلط بين الجنَّة والنَّصر – أَوضحها القرآن في عدة مواضع ، ونكتفي هنا بذكر آيات من سورة الصَّفِّ لوضوحها في هذه النقطة :

﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا هل أَدلُّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أَليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأَموالكم وأَنفسكم ذلكم خير لكم إِنْ كنتم تعلمون • يَغفِرْ لكم ذنوبكم ويدخلكم جنَّات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنَّات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ .

فتأَمَّل كيف خُتمت الآيات بقوله تعالى : ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ مع أَنَّ الكلام لم ينته بعد ؛ إِذ جاء بعدها مباشرة : ﴿ وأُخرى تُحبُّونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ وبشِّر المؤمنين ﴾ .

فقد أَخَّر ذِكر النَّصر إِلى ما بعد ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ لنعلم أَنَّ الغاية هي الجنَّة ، أَمَّا النَّصر فهو نتيجة وثمرة ، ويشهد لذلك أَيضًا قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين أَنفسهم وأَموالهم بأَنَّ لهم الجنَّة ... ﴾ .

ثانيًا – الغاية في السنَّة المطهرة :

إِنَّ النَّبي ﷺ لم يطلب من الصحابة أَنْ يجعلوا الجنَّة غايتهم فحسب ؛ بل ربّاهم علىٰ ذلك تربية متلاحقة في جميع الفرص والمناسبات .

تأَمَّل معي هذه الطائفة من أَقواله عليه الصَّلاة والسَّلام :

أ - كان يمرُّ بآل ياسر وهم يُعذَّبون فيقول لهم : « صبرًا آل ياسر ؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة » .

ب - كان يقول لأَصحابه : « إِنَّكم ستَلْقوْن بعدي أَثَرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ج - كان يقول أَيضًا : « أَلا إِنَّ سلعة اللَّه غالية ، أَلا إِنَّ سلعة اللَّه الجنَّة » .

د - في غزوة بدر قال لأَصحابه : « قوموا إِلى جنَّة عرضها السموات والأَرض » .

هـ - في غزوة أُحد ، نادى عليه الصَّلاة والسَّلام : « من يردُّهم عنا وله الجنَّة ، أَو : هو رفيقي في الجنَّة ؟ » .

أَرأَيت إِلى هذه الطريقة التربويَّة الفريدة التي كان يسلكها النَّبي ﷺ مع أَصحابه حتَّى أَصبح الصَّحابة يجدون ريح الجنَّة ، ويطيرون شوقًا إِليها .

وكيف لا يكون الأَمر كذلك وهو رسول اللَّه القائل : « اللهم ، إِنّي أَسأَلك الجنَّة وما قرَّب إِليها من قول أَو عمل » .

و - كان عليه الصَّلاة والسَّلام يعلِّم أَصحابه أَنَّ من جعل الجنَّة غايته فإِنَّ اللَّه يملأُ قلبه ونفسه غنًى ، وتأْتيه الدنيا وهي راغمة ، كما في الحديث الصحيح الذي يرويه الترمذي :

« من كانت الآخرة همَّه جعل اللَّه غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأَتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همَّه جعل اللَّه فقره بين عينيه ، وفرَّق عليه شمله ، ولم يأْته من الدنيا إِلَّا ما قُدِّر له » .

ثالثًا - كيف تجلَّت هذه الغاية واضحةً في حياة الصحابة ؟ :

والآن لِنَرَ كيف أَثمرت التربية النَّبوية القرآنيّة في حياة الجيل الأَوَّل ؛ جيل الصَّحابة الكرام رضي اللَّه عنهم ، لقد عاش الصَّحابة حياتهم كأَنَّهم يرون الجنَّة

بأَعينهم ، وكأَنَّهم يحسّونها بحواسّهم .

فهم يذكرون الجنَّة دائمًا ، ويشتاقون إِليها ، ويجدون ريحها ، فما هم إِلَّا أَبناء الجنَّة ، يعيشون غرباء في الدنيا ينتظرون بفارغ الصَّبر الرجوع إِلى الوطن ، وما هم إِلَّا عشَّاق مُتيَّمون ينتظرون لقاء الأَحبَّة ، لا همَّ لهم إِلَّا ذلك ، ولا غاية لهم إِلَّا هذا .

وإِليك بعض هذه الصور المشرقة ؛ لعلك - أَخي المسلم - تقتدي بهم :

أ - ربيعة بن كعب الأَسلمي - رضي اللَّه عنه - يقول له النَّبي ﷺ : « سَلْني » ، فيقول : أَسأَلك مرافقتك في الجنَّة ، فيقول له : « أَو غير ذلك ؟! » فيقول : هو ذاك .

ب - أَنس بن النَّضر يقول يوم أُحد : « يا سعد بن معاذ ! الجنَّة وربِّ النضر ؛ إِني أَجد ريحها من دون أُحد ! » .

ج - عمَّار بن ياسر - رضي اللَّه عنه - يقف يوم اليمامة على صخرة وقد أَشرف يصيح : يا معشر المسلمين ! أَمِنَ الجنَّة تفرُّون ؟! أَنا عمَّار بن ياسر ، أَمِنَ الجنَّة تفرُّون ؟!

د - ويوم مؤتة ينشد جعفر بن أَبي طالب :

يا حبَّذا الجنَّة واقترابها ... طيّبة وباردًا شرابها

ويخاطب عبدُاللَّه بن رواحة نفسَه قائلًا : « ما لي أَراك تكرهين الجنَّة ؟! » .

هـ - ومن الواضح أَنَّ الصَّحابة - رضوان اللَّه عليهم - كانوا يُفصحون بأَنَّ الشَّهادة هي غايتهم وأُمنيّتهم ؛ لأَنَّ الشَّهادة تقودهم إِلى رضوان اللَّه وجنَّته ، وعلى هذا ربَّاهم الحبيب ﷺ .

- ففي بدر ، لما قال عليه الصَّلاة والسَّلام محرِّضًا : « قوموا إِلى جنَّة عرضها السموات والأَرض » وسمع عمير بن الحُمام هذا القول ، قال : « جنَّة عرضها السموات والأَرض ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « بخٍ بخٍ » ، فقال النَّبي عليه الصَّلاة

والسَّلام : « ما يحملك على قولك : بخٍ بخٍ » ، قال : « لا واللَّه يا رسول اللَّه ، إِلَّا رجاء أَن أَكون من أَهلها » ، قال : « فإِنَّك من أَهلها » .

وكأَنَّ عميرًا - رضي اللَّه عنه - يقول : ما الذي يحملني على البقاء في الدنيا وغايتي أَصبحت في متناول يدي ، ليس بيني وبينها إِلَّا أَنْ يقتلني هؤلاء المشركون ؟! .

- ويوم خيبر ، يعطي النَّبي ﷺ أَحد الصَّحابة مالًا - وكان قد أَسلم حديثًا - فقال : « ما علىٰ هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك علىٰ أَن أُرمىٰ ههنا - وأَشار إِلىٰ حلقه - بسهم ، فأَموت ، فأَدخل الجنَّة » ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « إِنْ تصْدقِ اللَّه يَصْدقْك » ثمَّ نهض إِلى قتال العدو ، فأُتي به إِلى النَّبي ﷺ وهو مقتول ، فقال : « أَهو هو ؟ » قالوا : نعم ، قال : « صدق اللَّه فصدقه » .

- وهذا عمرو بن الجموح رضي اللَّه عنه - وكان أَعرج شديد العرج - يقول في أُحد : « إِنِّي لأَرجو أَنْ أَستشهد فأَطأَ بعرجتي هذه في الجنَّة !! » .

وعند أَحمد بسند صحيح أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « كأَنِّي أَنظر إِليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنَّة » .

وكان الواحد من الصَّحابة إِذا سقط شهيدًا يقول : وعجلت إِليك ربي لترضىٰ ، أَو يقول :

غدًا أَلقىٰ الأَحبّة محمَّدًا وصحبَه .

رابعًا - حالة المسلمين اليوم مع الجنَّة :

بقليل من التأَمل في أَحوال مُعْظَم المسلمين اليوم نجد أَنَّ غاياتهم التي ارتضوها لأَنفسهم ، والتي يضجُّون في سبيلها بالنَّفس والنفيس - إِنَّما هي غايات دنيوية لا تمتُّ إِلى الجنَّة بصلة ، ولا يستثنى من هذا الأَمر إِلَّا القليل النادر .

وكأَني ببعض النَّاس يتساءلون : وهل هناك مسلم غايته شيء آخر غير الجنَّة حتى يحتاج الأَمر إِلى بيان وإِيضاح ؟!

والجواب : أَنَّ هناك فرقًا هائلًا بين غاية تعمل لها بكل إِمكانيَّاتك ، وتحلم بها ليل نهار ، وبين أُمنية كاذبة تتمنَّاها مجرد تمنٍّ ، لكنها لا تخطر لك على بال في خضم هذه الحياة وتقلُّباتها وأَهوائها ، ولو كان الأَمر بالتمنِّي لكان اليهود من أَهل الجنَّة !

يجسِّد هذا المعنى ما روي أَنَّ الحسن البصري قال مخاطبًا أَصحابه : « إِنَّما دين أَحدكم لعقةٌ على لسانه ، إِذا سئل : أَمؤمن أَنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم . كذب ومالك يوم الدين . أَين من أَخلاق المؤمنين : قوَّة في دين ، وحَزْم في لين ....؟ » وأَخذ - رحمه اللَّه - يعدِّد صفات المؤمنين .

إِنَّ اهتمامات كثيرٍ مِن المسلمين اليوم جدّ تافهة ، لا تليق بصاحب مبدأٍ أَرضيٍّ ، فضلًا عن مؤمن باللَّه واليوم الآخر ! إِنَّ أَهداف المسلمين اليوم - ونقصد الأَكثريَّة - تعود مهما تشعَّبت إِلى هذه الأَمرين : المال والجاه .

هذان الأَمران اللذان حذَّر النَّبي ﷺ من الحرص عليهما فقال : « ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

أَرأَيت إِلى عدم وضوح الغاية الحقيقية - التي هي الجنَّة - كيف يُفسد على المسلم دينه ؛ لأَنَّه سيُشغل بأَشياء دنيوية تافهة ؟!

تعال معي نتتبع أَحاديث أَكثر المسلمين في مجالسهم وسهراتهم ، نجد أَنَّ تطلعاتهم وغاياتهم رخيصة جدًّا (طعام لذيذ ، سهرة ممتعة ، يوم للنزهة ، سفر للخارج ...) !!!

ولكن ... كيف يدفع وضوح الغاية إلى الاستقامة ؟

في الحديث الذي رواه البخاري : « من يضمن لي ما بين لَحْيَيه وما بين رجليه أَضمن له الجنَّة » ، وأَمثال هذا الحديث في السنة كثير جدًّا ؛ فالذي حدَّدَ غايته بأَنَّها

الجنَّة لابد أَنْ يستقيم على الطريق الموصل إليها ، وفي الأَثر : « من اشتاق إلى الجنَّة سارع إلى الخيرات » ، وهذا المعنى يؤيِّده الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أَبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأَيت مثل النَّار : نام هاربها ، ولا مثل الجنَّة : نام طالبها » .

اسأَل نفسك يا أَخي المسلم : هل أُحسُّ باشتياق إلى الجنَّة ؟ بل هل أُفكر فيها ؟

يا أَخي المسلم ، حدِّدْ غايتك من أَوَّل الطريق ، ثمَّ انطلق ، وإِلَّا كان جهدك ضائعًا ، واعلم بأَنَّك إِنْ حدَّدت غايتك بدقَّة فستقوم بكل ما يوصلك إلى هذه الغاية ؛ لأَنَّك لن تشعر بالراحة والطمأَنينة الكاملة ، ولن تشعر بالاستقرار حتى يقال لك : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدَّار ﴾ .

وأَرى من المفيد أَن أَختم الحديث بهاتين الملاحظتين :

الأُولى : إِيَّاك يا أَخي المسلم أَن تُشْغَلَ بالوسيلة عن الغاية ، أَو أَن تخلط بينهما ؛ فلقد أَتى الشيطانُ كثيرًا من طلَّاب العلم - فضلًا عن غيرهم - من هذا المدخل ، فكثيرًا ما نرى طالب علم نشيطًا ، مُجِدًّا في الحفظ والفهم والدِّراسة ، ثمَّ بمرور الزَّمن يصبح العلم عنده غاية مستقلَّة ، وإِذا به يهمل التعليم ، ويهمل الدعوة ، ويقصِّر في صلاة الجماعة ، وهكذا .. يقصِّر في العمل كصلة الأَرحام ، وبر الوالدين بحجَّة أَنَّه مشغول بالعلم ، وربَّما أَصبحت الشهادة غايته ، فتراه يتوسع في العلوم النَّظرية على حساب الدَّعوة والتعليم ، والمسلمون جاهلون بأَوَّلِيَّاتِ الإِسلام ، فلمن يتركهم ؟!

ومثل الذي يفكر بالوسائل لتحقيق الغاية ، ثمَّ ينسى الغاية - كمثل إِنسان عنده (بندقيَّة) وهو يمسحها كل يوم ، وينظِّفها ، ويعتني بها حتىٰ يستطيع استعمالها في اليوم المنتظر ، لكنَّه بمرور الأَيَّام واختلافها نسي الغاية الحقيقية ؛ فأَصبح كل همِّه مسح البندقية وتنظيفها فقط ، ونسي لماذا هو يمسحها ويهيِّئُها ؟!

وهذا شأْن كثير من العاملين للإِسلام ؛ أَصبحوا يخططون للوسيلة لا للغاية ، وربما كانت الوسيلة تُغضب مَنْ هو الغاية ، وهو اللَّه سبحانه وتعالى !

الثانية – لا مانع أَبدًا من اتخاذ غايات جزئية (مرحلية) يتمنَّى المسلم الوصول إِليها ، ويفكر فيها بصدق واهتمام ؛ كبناء مسجد في مكان محتاج إِليه ، أَو كحفظ القرآن غيبًا ، ونحو ذلك .

فهذه الغايات الجزئية فرع عن الغاية الكبرى التي لا تفارق خيال المسلم وهي الجنَّة .

نسأَل اللَّه أَن يجعلنا من أَهلها ، وله الحمد في الأُولى والآخرة .

كلمات إلى المُربِّين والمُربِّيات

محمد بن جميل زينو

إنَّ مهمةَ المُربي عظيمةٌ جدّاً ، وعملَه من أَشرفِ الأَعمالِ إذا أَتقنَه ، وأَخلصَ للهِ تعالى فيه ، وربّى الطلّابَ التربيةَ الإسلاميّة الصحيحة .

فالمربي والمربية يشملُ المدرِّسَ والمدرّسةَ ، والمعلمَ والمعلمةَ ، والمشرفَ والمشرفةَ ، ويشملُ الأَبَ والأُمَّ ، وكلَّ من يقومُ على رعايةِ الأَولادِ .

فالمعلمُ مربي الأَجيالِ ، وعليه يتوقفُ صلاحُ المجتمعِ وفسادُه ؛ فإذا قامَ بواجبِه في التعليم ، فأَخلصَ في عملِه ، ووجّه طلابَه نحوَ الدّينِ والأَخلاقِ ، والتربيةِ الحسنةِ سَعِدَ الطلّابُ وسَعِدَ المعلّمُ في الدنيا والآخرة ، وقد قالَ الرسولُ ﷺ لابن عمّه عليٍّ رضي الله عنه :

« فواللهِ لأَنْ يهديَ اللهُ بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من حُمْرِالنَّعَم » (١) .

وقال ﷺ : « معلمُ الخيرِ يستغفرُ له كلُّ شيءٍ ؛ حتّى الحيتان في البحر » (٢) .

وإذا أَهملَ المعلمُ واجبَه ، ووجّه طلابَه نحوَ الانحرافِ ، والمبادئِ الهدّامةِ ، والسلوكِ السيِّئِ ، شَقِيَ الطلابُ ، وشَقِيَ المعلمُ ، وكانَ الوِزرُ في عُنقِه ، وهو مسؤولٌ أَمامَ اللهِ تعالى لقولِ الرَّسولِ ﷺ :

---

(١) متفق عليه ، وحُمْر النَّعم : الإبل الممتازة ، وفي زماننا السيارات الفاخرة .

(٢) صحيح ؛ رواه الطبرانيُّ وغيرُه .

« كلُّكم راعٍ ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه » [١] .

والمعلمُ راعٍ في مدرستِه ، وهو مسؤولٌ عن طلّابه .

فليكن إِصلاحُك لنفسِك أَيُّها المربي والمعلمُ قبلَ كلِّ شيءٍ ؛ فالحسنُ عندَ الأَولادِ ما فعلتَ ، والقبيح عندَ الطلّابِ ما تركت ، وإِنَّ حسنَ سلوكِ المُربّي والمعلمِ والمعلمةِ والأَبِ أَفضلُ تربيةٍ لهم .

وقد كتبتُ هذه الكلماتِ إِلى إِخواني المعلمين وأَخواتي المعلمات ليستفيدوا منها في عملِهم - بعد خبرةٍ في التعليم استمرّت أَربعين عاماً - وليعرفوا كيفَ يكونون معلمين ناجحين .

واللهَ أَسألُ أَن ينفعَ بها المُسلمين ، ويجعلَها خالصةً لوجهِهِ الكريم .

مهمةُ المعلمِ الناجح :

إِنَّ من أَهدافِ التربيةِ والتعليم إِنشاءَ شخصيةٍ ذاتِ مُثُلٍ عليا ، هذه الشخصيّةُ يجبَ أَنْ تكونَ مرتبطةً بربِّها ، تستمدُّ منه نظامَ حياتِها ، وتعملُ على تقويمِ مجتمعِها ، وتصحيحِ مفاهيمِه على أُسسٍ صحيحةٍ ، وهذه هي رسالةُ المعلّمِ ، والغرضُ من تربيتِه وتعليمِه .

ومن المعلومِ أَنَّ للتربيّةِ أُسساً تقومُ عليها ، تختلفُ باختلافِ المجتمعاتِ واتجاهاتِها ، فإِذا كانت أُسسُ التربيةِ في المجتمعِ الشيوعيِّ - مثلاً - ترتكزُ على الماديّاتِ ونفيِ الروحيّاتِ وقطعِ صلةِ الطالبِ بربّه ، وإِذا كانت أُسسُ التربيةِ في المجتمعاتِ الغربيّةِ تقومُ على الاستغلالِ والأَنانيّةِ والانحلالِ ، فإِنَّ أُسسَ التربيةِ في المجتمعِ الإِسلاميِّ تقومُ على إِيجادِ الأَخلاقِ الفاضلةِ والعواطفِ النبيلةِ والآدابِ الساميةِ الّتي تتمثّلُ في علاقةِ الطالبِ بربِّه ، وعلاقتِه بمعلمِه ، وزميلِه ، وإِدارةِ مدرستِه ، ومن

---

(١) متفق عليه .

ثَمّ علاقةِ الطالبِ بأُسرتِه .

وإذا أَردنا أَن نحقِّقَ هذه الشخصيةَ في الواقعِ العمليِّ فإنَّ علينا إيجادَ المعلمِ الناجحِ في التربيةِ والتعليم .

هذا المعلمُ يجبُ أَنْ يتوفرَ فيه شروطٌ وآدابٌ حتى يكونَ مربياً صالحاً ومعلماً نافعاً .

فمن شروطِ وآداب المعلمِ الناجحِ في التربيةِ والتعليم :

١ - أَن يكونَ ماهراً في مهنتِه ، مبتكراً في أَساليبِ تعليمِه ، محبّاً لوظيفتِه وطلّابِه ، يبذلُ جهدَه في تربيتِهم التربيةَ الحَسَنةَ ، يُزوِّدُهم بالمعلوماتِ النافعةِ ، ويعلمُهم الأَخلاقَ الفاضلةَ ، ويعملُ على إبعادِهم عن العاداتِ السيّئةِ ، فهو يُربّي ويعلِّمُ في آنٍ واحدٍ .

٢ - كما عليه أَن يكونَ قدوةً حسنةً لغيرِه ؛ في قولِه وعملِه وسلوكِه ، من حيثُ قيامُه بواجبِه نحوَ ربِّه ، وأُمّتِه وطلّابِه ، يحبُّ لهم من الخيرِ ما يُحبُّه لنفسِه وأَولادِه ، يعفو ويصفحُ ، فإنْ عاقبَ كانَ رحيماً .

قال الرسولُ ﷺ : « لا يؤمنُ أَحدُكم حتّى يُحبَّ لأَخيه ما يُحبُ لنفسِه » (١) .

التحذير من الأُمور الضارّةِ :

١ - العادات السيئة :

على المعلّم الناجح في التربيةِ والتعليم أَن يصرفَ طلّابَه عن العاداتِ السيّئةِ ؛ كالكتابةِ بالشمال ، والانحناءِ وقتَ الكتابةِ ، وإلقاءِ الأَوراقِ على الأَرضِ ، وقلعِ الورقِ من الدفاترِ ، وتلويثِها بالحبر ، والكتابةِ بخطٍّ رديءٍ ، والكلامِ البذيءِ ، والسبِّ

---

(١) متفق عليه .

واللعنِ ... وغيرِ ذلك من العاداتِ السيئةِ .

وأَخطرُ عادةٍ هي عادةُ التدخينِ الّتي تفشّت بين الطلّابِ بشكلٍ يُنذرُ بالخطرِ .

وعلى المربين والمعلمين أَن يُحذِّروا طُلّابَهم بشتّى الأَساليبِ والطرقِ ، ولا بأسَ أَنْ يُبيّن لهم- مُعَلِّمُهم - أَضْرارَ التدخين حتّى يُبَغِّضَهم إِيّاه ، فيبيّنَ لهم أَنَّ الدخّان يجلبُ الرائحةَ الكريهةَ ، ويسببُ اصفرارَ أَسنانِ المدخّن ، وأَصابعِه ، وتراكم مادتي النيكوتين والقطران الّتي يحتوي عليهما في الرئتين ، حيثُ يتسببُ ذلك في الموتِ العاجلِ ، وهذا قَتْلٌ للنفسِ الّتي حرَّمَ اللهُ ، ولا بأسَ أَن ينقلَ لطلابِه ما أَذاعته لجنةُ الأَطبّاءِ العالميّةِ من أَنَّ الدخّانَ يورثُ سرطانَ الرئةِ والدمِ والبلعومِ .

وأَمّا من ابتُلي من المعلمين بهذا السمِّ وتعاطيه فعليه - على الأَقلِّ - أَن لا يُدخّنَ أَمامَ تلامذتِه ولا الناس ؛ عملاً بقولِه ﷺ : « كلُّ أُمتي معافى إِلّا المجاهرين » [1] .

والواجبُ أَن ينقطعَ عن التدخين مطلقاً .

وللمُعلمِ أَن يُبيّنَ لطلبتِه كذلك أَنَّ المدخنَ يؤذي جليسَه من البشرِ ، وكذلك يؤذي الملَكين اللّذَينِ وكّلهما اللهُ تعالى بكتابةِ حسناتِه وسيئاتِه ، والأَذى في ديننا حرامٌ .

فإِذا استطاعَ المعلمُ أَن يقنعَ طلبتَه بكلامِه ثمَّ رأَوا أَفعالَه مطابقةً لكلامِه ، فيعلمُ أَنّه سلكَ الطريقَ السليمَ والصراطَ القويمَ .

٢ - السينما والتلفزيون :

لقد نتجَ عن غزوِ الكفّارِ لديارِ المُسلمين أَن تهدّمت أَخلاقُ المجتمعاتِ الإِسلاميّةِ ، وعمّها الانحلالُ الأَخلاقيُّ باسمِ الحريّةِ والديمقراطيّةِ وغيرِ ذلك من الأَسماءِ الطنّانةِ الّتي ظاهرُها الرّحمةُ ، وباطنُها العذابُ .

ولقد صاحبَ استعمارَ الكفّارِ لديارِ المُسلمين هذا الغزوُ الفكريُّ الّذي نراه في

---

(١) متفق عليه .

بعضِ رجالِ الدولةِ في الحكوماتِ العربيّةِ والإسلاميّةِ ، ومن هذا الغزو ؛ دورُ السينما [١] الّتي تمثّلُ خطراً عظيماً على الشبابِ المسلم .

أَمّا خطورتُه ؛ فكونُه سبباً لشيوعِ الرّذيلةِ وغيرِها ، وأَمّا الهدفُ فهو توجيهُ الشبابِ إلى ما يضرُّه ولا يفيدُه ، حتّى لا يستفيدَ من طاقاتِه ولا يُوَظِّفَها لمصلحةِ دينِه وبلدِه ، ولهذا هو تخطيطُ اليهوديّةِ العالميّةِ .

ومن العَجَبِ أَنْ لا يتنبّهَ المسؤولون لهذه الأَخطارِ ولا يَعْملوا على إزالتِها ، وعندما تكونُ الأَفلامُ علميّةً ، أو أَخلاقيّةً ، أَو دينيّةً فيجبُ تشجيعُها .

فعلى المعلمِ الناجح أَن يُعَرِّفَ طلّابَه مضارَّ السينما والتلفزيون والڤيديو ، ويُبيّنَ لهم خطرَ الأَفلامِ الخليعةِ الّتي تقتلُ الفضيلةَ والرُّجولةَ في نفوسِ الطلّابِ ، وتعلمُهم السرقةَ والإجرامَ ، وكم من سارقٍ أَو مجرمٍ اعترفَ بأَنّه تعلّمَ أُسلوبَ الإجرامِ ممّا يُعرضُ في السينما أَو الڤيديو من الأَفلامِ ، والقصصُ الواقعيّةُ تشهدُ على ذلك .

أَضِفْ إلى ذلك ما تُسببه من إجهادٍ ومَرَضٍ للعيونِ ؛ لأَنّها تحدّقُ في الظلامِ ، وتسببُ كذلك الاختناقَ بسببِ الهواءِ الفاسدِ ، وخسارةَ المالِ في غيرِ ما طائلٍ .

فعلى المُعلِّم أَن يشرحَ هذه الأُمورَ للطلبةِ ، ويُبيّنُ لهم أَنّ الطالبَ لو اشترى كتاباً علمياً أَو قصةً مفيدةً لكانَ ذلك أَفضلَ بكثير .

٣ – المَيْسِر واليانصيب :

على المعلم الناجحِ في التربيةِ والتعليم أَن يراقبَ طلّابَه دائماً ، ويُوجّهَ أَنظارَهم إلى أَنّ اللعبَ على الشكولاته والحلوى وغيرِها هو من القمار الّذي يجعلُ صاحبَه

---

(١) لقد بيّنَ المخرجُ السينمائيُّ العالميُّ أَنيس عبدالمعطي أَخطار السينما بعد أَن ترك عمله ، وعرف فساده ، وتخطيط اليهود لإخراج الأَفلام التي تضر بالمسلمين ، وقد تكلّم عن ذلك في شريط سمعته له ، ثمّ التقيت بهذا المخرجِ المذكور بعد أَن تابَ إلى الله ممّا عمله من أَفلام ، وينصح المسلمين باجتناب هذه الأَفلام الحاضرة .

مُعرَّضاً لغضبِ الرّبِّ وإفلاسِ الجيبِ ، وينبِّهُهم إلى أَنّ الّذي يتعوّدُ على اللّعبِ على هذه الأُمورِ اليسيرةِ سيُجرُّ بعدَها إلى أَن يلعبَ بالمالِ وربّما بالعِرضِ ، وقد حدثَ ذلك حينما خسرَ أَحدُهم مالَه ولم يبقَ معه شيءٌ ، فباعَ ابنتَه ، ثمَّ خسرَ فباعَ لتراً من دمِه فَخَسِرَ ، ووُجدَ بعد ذلك ميّتاً في أَحد فنادق بيروت .

ولو كانَ الميسرُ خيراً لما نهانا اللهُ عنه ، قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الّذينَ آمنوا إِنَّما الخمرُ والميسرُ والأَنصابُ والأَزلامُ رِجْسٌ من عَمَلِ الشيطانِ فاجْتَنِبوهُ لعلَّكم تُفلِحون إِنّما يُريدُ الشّيطانُ أَن يُوْقِعَ بينَكمُ العداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والمَيْسِرِ ويَصدَّكم عن ذِكرِ اللهِ وعن الصّلاةِ فهل أَنتم منتهون ﴾ .

وقال الرّسول ﷺ : « من لَعِبَ بالنردشير فكأَنّما غمسَ يدَه في لحم خنزيرٍ ودمِه » [1] .

ومن هذا نَخْلُصُ إلى أَنّه لا يجوزُ اللعبُ بالورقِ والنردِ ولو كانَ للتسليةِ ، لأَنّه يؤدّي إلى القمارِ كما يُورّثُ الشجارَ بين اللاعبين ، وحدثَ أَنّه حصلَ خلافٌ بين صديقين يلعبان بالنردِ للتسليةِ فتصايحا ، واتهم كلُّ واحدٍ صديقَه بتحريكِ القطعةِ الخشبيّةِ ، وحلفَ أَحدُهما بالطلاقِ على عدمِ تحريكها ، فلم يُصدقْه ، ودخلت العداوةُ بينهما فلم يكلّم أَحدُهما الآخرَ وهم جيرانٌ .

٤ – السَّبُّ والشجار :

لقد تفشّى منذُ عهودٍ غير بعيدةٍ ظاهرةٌ سيئةٌ للغايةِ ؛ هي تشاجرُ الطلبةِ وسبُّ بعضِهم بعضاً ، وربّما بَلَغَ ببعضِهم أَنْ يسبَّ الدين والعياذُ باللهِ تعالى .

فعلى الأَولياءِ نَهْرُ أَولادِهم والأَخذُ على أَيديهم وعدمُ التسامحِ في هذا أَبداً ، فما عرف سَلفُنا هذه العادةَ السيئةَ أَبداً .

وينبغي أَن يتعاونَ المعلّمُ مع ولي أَمرِ الطالبِ حتّى تُقتلعَ هذه العادةُ من جذورِها،

---

(١) رواه مسلم .

وتُعالجَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ .

لقد حصلَ منذُ زمنٍ أَن رأَيتُ طالباً يسبُّ زميلَه بدينِه ، فاقتربتُ منه وقلتُ له : ما اسمُك يا بُنيّ ؟ وفي أَيِّ صفٍّ ؟ ومن أَيِّ مدرسةٍ ؟ ثمَّ قلتُ له : من الّذي خلقَكَ ؟ قال : الله ، قلت : من أَعطاكَ السَّمْعَ والبصرَ وأَطعمَك الفواكه والخضر ؟ قال : الله ، قلت : فما هو واجبُك نحو من أَعطاك هذه النعم ؟ قال : الشكر ، قلتُ له : وماذا كنتَ تقولُ قبل قليلٍ ؟ فخجلَ وقال : إِنَّ زميلي هو الّذي اعتدى عليَّ ، فقلت : إِنَّ اللهَ لا يقبلُ الاعتداءَ وقد نهى عنه ، فقال سبحانه : ﴿ ولا تعتدوا إِنَّ الله لا يحبُّ المُعتدين ﴾ ولكنْ من الّذي وسوسَ لرفيقِك حتّى ضَرَبَك ؟ فقال : الشيطان ، قلتُ : إِذن عليك أَن تسبَّ شيطانَه وليس دينَه ، فقال لرفيقِه : « يلعن شيطانَك [1] » ثمَّ قلتُ له : عليك أَن تتوبَ إِلى اللهِ وتستغفرَه ، لأَنّ سبّكَ للدّينِ كفر ، فقال : أَستغفرُ اللهَ العظيم وأَشهدُ أَنّ لا إِلٰه إِلّا الله وأَنّ محمداً رسولُ الله ، فشكرته وطلبتُ منه أَن لا يعودَ ، وأَن ينصحَ زملاءه إِذا رأى أَحدَهم سبَّ الدّين وينهاه .

أَمّا الشجارُ والمشاجرةُ ؛ فعلى المعلّمِ أَن يفهمَ الطلّابَ أَنّهم إِخوةٌ ، ولا يجوزُ للأَخِ أَن يسبَّ أَخاه ، وقد نهانا المربّي الأَكبرُ سيدُنا محمد ﷺ عن ذلك فقال : « سباب المُسلمِ فسوقٌ وقتاله كفر » [2] .

---

(١) الأَولى للمسلمِ أَن يستعيذَ باللهِ فيقول عند الغضبِ : أَعوذُ باللهِ من الشيطان الرَّجيم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وإِمّا ينزغَنَّكَ من الشيطانِ نزغٌ باستعِذْ باللهِ إِنّه هو السميعُ العليم ﴾ .

وقال الرَّسولُ ﷺ لِمَنْ غَضِبَ : « إِنّي لأَعلمُ كلمةً لو قالَها لذهبَ عنه الغضبُ : أَعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرَّجيم » متفق عليه .

وقال ﷺ : « لا تَقُلْ : تَعِسَ الشيطان ؛ فإِنَّك إِذا قلتَ ذلك تعاظمَ حتّى يكونَ مثلَ البيتِ ، ويقول : بقوّتي ! ولكنْ قل : بسم الله ؛ فإِنّك إِذا قلتَ ذلك تصاغرَ حتّى يكونَ مثلَ الذباب » .

رواه النسائي ، وهو حديثٌ صحيحٌ .

(٢) متفق عليه .

فينبغي أَنْ يسودَ بين الطلبةِ معاني الإخاءِ والمحبّةِ ، وعلى المعلّمِ أَن يُرشدَهم إِلى ما يزيدُ من أُخوّتِهم ومحبّتِهم .

قال ﷺ : « أَوَلا أَدلُكم على شيءٍ إِذا فعلتموه تحاببتم ؟ أَفشوا السلامَ بينَكم » (١) .

المكافآت والعقوبات :

المعلمُ الناجحُ لا يلجأُ إِلى العُقوباتِ الماديّةِ إِلّا قليلاً ، وبقدرِ ما تقتضيه الضرورةُ ، فهو دائماً يقدّمُ المكافآتِ على العقوباتِ ؛ لأَنّها تشجّعُ الطالبَ على التعلّمِ ، وطلبِ المزيدِ من التربيةِ والتعليمِ ، بعكسِ العقوباتِ فإِنّها تتركُ أَثَراً سيّئاً في نفسِ الطالبِ ، ممّا يحولُ بينه وبين الفهمِ والعلمِ ، ويقتلُ في نفسِه روحَ المثابرةِ والتقدّمِ .

وكثيرٌ من الطلّابِ يتركونَ المدرسةَ من أَجلِ ما يرونَه من بعضِ المعلمين من أَنواعِ القسوةِ والظلمِ ، ولقد اعتادَ الطلابُ أَن ينعتوا المعلّمَ القاسي بالظالمِ ، ولنبدأ بالمكافآتِ وأَنواعِها قبل العقوباتِ ؛ لأَنّها الأَصلُ ، وهي المقدّمةُ دائماً :

١ – **الثناء الجميل** : على المعلمِ الناجحِ أَن يثنيَ على الطالبِ إِذا رأى منه أَيّ بادرةٍ حسنةٍ في سلوكِه ، أَو في اجتهادِه ، فيقول للطالبِ الّذي أَحسنَ الجوابَ : « أَحسنتَ » ، أَو : « بارك اللهُ فيك » أَو : « نِعْم الطالبُ فلانٌ » ، فمثلُ هذه الكلماتِ اللطيفةِ تشجّعُ الطالبَ وتقوي روحَه المعنويّةَ ، وتتركُ في نفسِه أَحسنَ الأَثَرِ ، ممّا يجعلُه يحبُّ معلمَه ومدرستَه ، ويتفتّحُ ذهنُه للتدريسِ ، ويكونُ في نفسِ الوقتِ مشجّعاً لِرفاقِه أَن يقتدوا به في أَدبِه وسلوكِه واجتهادِه لينالوا الثناءَ والتشجيعَ من معلمِهم ، فذلك خيرٌ لهم من العقوباتِ الماديّةِ الّتي يتعرّضونَ لها .

٢ – **المكافآت الماديّة** : إِنَّ الطفلَ بطبيعتِه يحبُّ المكافأةَ الماديّة ، ويحرصُ

---

(١) رواه مسلم .

على اقتنائها ، ولذلك فعلى المعلّمِ أَن يستجيبَ لهذه المحبّةِ ، ويقدّمَها للطالبِ في المناسباتِ .

فالتلميذُ المجتهدُ أَو صاحبُ الخُلُقِ أَو الّذي يقومُ بواجبِه نحو ربِّه من صلاةٍ وغيرِها من الأَعمالِ الخيريةِ والمدرسيّةِ ثمَّ يأخذُ مكافأَةً ماديّةً من معلمِه سوف يجدُ نفسَه مسروراً أَمامَ رفاقِه ، قد أَشبعَ في نفسِه غريزةَ حبِّ التملّكِ .

ويُستحسنُ للمعلمِ أَن يضعَ للطالبِ علامةً جيدةً في سلوكِه والمادةِ الّتي أَجادَ فيها .

٣ – **الدعاء** : على المعلّم أَن يشجّعَ الطالبَ المجتهدَ أَو الأَديبَ أَو المُصلي بالدعاءِ له قائلاً : وفقّكَ اللهُ ، أَرجو لك مستقبلاً باهراً ، وللطالبِ المُقصّرِ أَو المسيءِ : أَصلحكَ اللهُ وهداك .

٤ – **لوحة الشرف** : من المفيدِ جدّاً أَن تكونَ في المدرسةِ لوحةُ شرفٍ كبيرةٍ توضعُ في مكانٍ بارزٍ ، ويُسجّلُ عليها أَسماءُ الطلبةِ حسبَ تميُّزِهم على غيرِهم في السلوكِ ، أَو الاجتهاد ، أَو النظافة ، وغير ذلك ، فيكون هذا الإعلانُ تشجيعاً للطلّابِ على الاقتداءِ بهم ، حتّى تسجّلَ أَسماؤهم على اللوحةِ .

٥ – **التربيت على الكتف** : عند صعودِ أَحد الطلّابِ الصفَّ لشرحِ درسٍ ، أَو إِلقاءِ محفوظةٍ ، أَو حلِّ مسألةٍ ، أَو تسميعِ سورةٍ من القرآن ، فعلى المعلّمِ أَن يربّتَ على كتفِ الطالبِ إِذا أَحسنَ تشجيعاً له .

٦ – **أَن يَعُدَّ المعلّمُ نفسَه واحداً من طلابِه المجيدين ، وأَن ينتسبَ إِليهم** ، وهذه مكافأَةٌ عظيمةٌ ، فقد قال ﷺ : « لولا الهجرةُ لكنتُ امرأً من الأَنصارِ » [١] .

٧ – **التوصية** : وذلك بأَنْ يوصيَ المعلّمُ الطلابَ والمعلمين بالطالبِ الجيّدِ خيراً تشجيعاً له ولرفاقِه الّذين سيقتدونَ به في اجتهادِه وأَخلاقِه .

---

(١) متفق عليه .

٨ – **المصاحبة** : يستطيعُ المعلمُ أَن يصحبَ ويرافقَ الطلّابَ الذين يريدُ مكافأتَهم في ذهابِه معهم إِلى المسجدِ ، أَو إِلى الرّحلاتِ المدرسيّةِ ، فالطلابُ يعتزُّونَ بمرافَقَتِهم لمعلّمهم ويفرحونَ بذلك .

٩ – **توصية أَهل الطالب** : يستطيعُ المعلمُ أَن يكتبَ رسالةً ويرسلَها مع الطالبِ ، يذكرُ فيها محاسنَ الطالبِ ويثني عليه ، وفي ذلك تشجيعٌ لأُسرةِ الطالبِ ليعاملوا ولدَهم بالتي هي أَحسن ، وهذا يشجّعُ الطالبَ على التقدّمِ والسلوكِ الحسنِ .

وعلى المعلمِ أَن يسألَ عن أَخلاقِ الطلّابِ وسلوكِهم في البيتِ ، ومحافظتِهم على الصلاةِ في المسجدِ ، ويكلّفَ الطلّابَ أَن يأتوا بأَوراق من أَوليائِهم وإِمامِ مسجدِهم ، يثبتون فيها حسنَ سيرتِهم وأَداءَهم للصلواتِ مع الجماعةِ .

١٠ – **مساعدة الفقراء** : على المعلّم أَن يقومَ بانتقاءِ عددٍ من الطلّابِ لجمعِ التبرّعاتِ للفقراءِ ، وأَن يساهمَ معهم في ذلك بشيءٍ من المالِ ليقتديَ الطلّابُ به ، ويتمُّ توزيعُ المالِ بإِشرافِ المعلمِ والطلّابِ على إِخوانِهم المحتاجين إِلى الكساءِ أَو الطعامِ ، أَو الكُتُبِ ، أَو الأَدواتِ المدرسيّةِ .

وعلى المعلّم أَن يشكرَ الطلّابَ المتبرعين أَمامَ رفاقِهم تشجيعاً لهم ولبقيّةِ الطلبةِ لكي يتبرّعوا وينالوا الأَجرَ العظيمَ عند اللهِ ، وأَنَّ اللهَ سيُخلفُ عليهم المالَ الّذي أَنفقوه ، ويذكرُ المعلّمُ للطلّابِ قولَ اللهِ تعالى : ﴿ وما أَنفقْتُم مِنْ شيءٍ فَهُو يُخْلِفُهُ وهو خيرُ الرّازقين ﴾ .

ويُمكنُ للمعلمِ أَو المدير أَن يقدِّمَ من هذا الصندوقِ بعضَ المالِ ، أَو شراء بعض الهدايا لإِعطائِها للطالبِ المجتهدِ ، أَو المطيعِ لأَوامرِ المعلمِ والوالدين ، أَو النظيفِ في ملبسِه ، أَو صاحب السلوك الحسن .

العقوبات وأَضرارها :

على المعلمِ الناجحِ أَن يجتنبَ العقوباتِ الماديّة ، وذلك لأَنّها خطرٌ على الطالبِ

وعلى المعلّمِ كذلك ، وإضاعةٌ لوقتِهما ، حيثُ إنَّ الطالبَ قد ينفرُ من ضَرْبِ المعلمِ له ، ممّا يُسببُ الوحشةَ بينه وبين معلمِه ، وقد يتطوّرُ الحالُ إلى تعرّضِ المعلمِ للمسؤوليّةِ أَمام المفتشِ والمحاكمِ الجزائيّةِ ، وأَولياءِ الطالبِ المضروبِ ، ممّا قد يُسيءُ إلى سمعتِه ومكانتِه ودورِه في خدمةِ أُمتِه ، ويندمُ المعلمُ عندئذٍ حينَ لا ينفعُه الندمُ ، فيضطرُّ إلى وضعِ الوسطاءِ لحلِّ مشكلتِه ، وقد لا تحلُّ إلّا بالمحاكمِ الجزائيّةِ ، فينالُ جزاءَ ما اقترفت يداه ، وكلُّ هذا بسببِ استعمالِ العقوباتِ الماديّةِ ولا سيما القاسيةَ منها .

إنَّ من مصلحةِ المعلمِ والطالبِ اجتنابَ العقوباتِ الماديّةِ ، لذلك فقد قررَ المسؤولون منعَ هذه العقوباتِ ؛ فوجبَ الانتهاءُ عنها وتحاشي الوصول لاستخدامِها ، إلّا في حالةِ الضرورةِ القصوى كتأديبِ بعضِ الطُّلابِ المنحرفين الذين لا ينفعُ معهم غيرُ ذلك ، أَو لحفظِ هيبةِ الدرسِ ونظامِه بعد أَنْ يكونَ المعلّمُ قد قدّمَ النصائحَ والتوجيهاتِ لهؤلاءِ الطلّابِ فلم يرتدعوا ، وذلك كما يقول المثلُ العربيّ : « آخر الدواءِ الكَيّ » .

ولا بأْسَ أَنْ نلخّصَ أَضرارَ العقوباتِ الماديّة فنقول :

١ - عرقلةُ سيرِ الدرسِ وتأخيرُه على الطلّابِ جميعاً .

٢ - انفعالُ المعلمِ والطالبِ أَثناء العقوبةِ وتأثيرُ ذلك عليهما معاً .

٣ - احتمالُ وقوعِ الضرر للطالبِ المضروب في وجهه أَو عينه أَو أُذنِه أَو غيرِ ذلك من الجوارحِ والأَعضاءِ .

٤ - قطعُ فهم الدرس على الطالبِ المعاقب .

٥ - قطع سلسلة أَفكار المعلم حين العقوبةِ .

٦ - تعرُّضُ المعلمِ للمسؤوليّة أَمام المحاكم والأَهالي والمفتش .

٧ - ضياعُ الوقتِ على الطلّابِ ، وتأثرُهم بما يجري في الدرس .

٨ - فقد التبجيل والاحترام المُتبادل بين الطالبِ ومعلمِه .

العقوبات الممنوعة :

إذا احتاجَ المعلمُ إلى العقوبةِ أحياناً فعليه أن يجتنبَ ما يلي :

١ - الضرب على الوجه : وذلك شائعٌ بين المعلمين ، حيث يضربونَ الطالبَ على وجههِ ، وربّما أصابَ أحدُهم عينَه أو أُذنَه ، وتعرض للمسؤوليّةِ والمحاكمةِ ودفعِ الغرامةِ ، وكانَ سبباً في تعطيلِ إحدى حواسّه ، ولذلك نهى الرّسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ عن ضربِ الوجه فقال :

« إذا ضربَ أحدُكم أخاه فليتقِ الوجه » (١) .

٢ - القسوة الشديدة : المعلمُ القاسي في ضربِه يطلقُ عليه الطلّابُ اسماً قاسياً ، ويقولونَ عنه « فلانٌ معلمٌ ظالمٌ » ، وكفى بهذا الاسمِ شرّاً ، فليس بعد الظلمِ والقسوةِ إلّا الندم ، فكم رأينا بعضَ الأساتذةِ يعتذرون لأولياءِ الطلّابِ والمسؤولين بعد إنزالِ العقوبةِ القاسيةِ على طلّابِهم .

فاللهَ اللهَ معاشرَ المعلمين في أفلاذِ أكبادِكم ، ارفقوا بهم فإنَّ الرّفقَ خيرٌ كلُّه ، قال الرسولُ ﷺ : « من يُحرمِ الرفقَ يُحرم الخيرَ كلّه » (٢) .

وقال ﷺ : « ما كانَ الرّفقُ في شيءٍ إلّا زانَه ، ولا نزعَ من شيءٍ إلّا شانَهُ » (٣)

٣ - الكلامُ السيّئُ : على المعلمِ أن يجتنبَ ما يُسيءُ إلى الطالبِ من ألفاظٍ نابيةٍ قد تسببُ له نفوراً وانحرافاً ، وربّما كانت سبباً في انحرافِه وميلِه للإجرامِ في المستقبلِ ، فالمعلمُ الّذي يقولُ للطالبِ : خبيث ، ملعون ، مجرم ... وغيرها من الكلماتِ القاسيةِ الّتي تجرحُ شعورَ الطفلِ ، ويتعلمُها بدورِه ليقولَها لرفيقِه في المدرسةِ أو لأخيه في البيتِ ، وتكون المسؤوليّةُ على ذلك المربّي الّذي سنَّ لطلابِه أن يتعلموا

---

(١) حديث حسن ، انظر « صحيح الجامع » (رقم : ٦٨٧) .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

مثلَ هذا الكلام الذي لا يليقُ بمعلمٍ أَن يتفوّه به ، وفي الحديث الصحيح : « ... ومن سنَّ في الإِسلامِ سنةً سيئةً فعليه وِزرُها ، ووِزرُ مَنْ عملَ بها من بعدِه من غيرِ أَن ينقصَ من أَوزارِهم شيئاً » (١) .

٤ - الضرب عند الغضب : قال أَبو مسعود : كنتُ أَضربُ غُلاماً لي بالسوطِ ، فسمعتُ صوتاً من خلفي « اعلم أَبا مسعود » فلم أَفهم الصوت من الغضبِ ، قال : فلمّا دنا منّي إِذا هو رسولُ اللهِ ﷺ: فإِذا هو يقول: « اعلم أَبا مسعودٍ ، اعلم أَبا مسعودٍ » ، قال : فأَلقيتُ السَّوطَ من يدي ، فقال : « اعلم أَبا مسعود أَنَّ اللهَ أَقدرُ منك على هذا الغلام » قال : فقلت : لا أَضربُ مملوكاً بعدَه أَبداً (٢).

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مسلم (رقم : ١٦٥٩) .

مَنِ العلماء ... الذين تسعَدُ بهم الأُمَّة ؟

الحلقة الثانية

محمد إبراهيم شقرة

وَبَعْدُ : فلنتعرَّف معالم هُويَّة هؤلاء الورثة ، لا بالظنِّ المتفلِّت ، ولا بالحدْس المتردِّد ، لكن بالعلم الموروث عن نبينا محمد ﷺ ، الذي يُسَدِّدُ النّظرَ ، ولا يَضِلُّ من أُوتيه في حضرٍ ولا وبرٍ ، ويسعد به صاحبه بثاقب البصر .

□ **المَعْلَمُ الأول** – أَن يكون حسنَ الاتباع في كل ما يأتي وما يدع ، في اليسر والعسر ، والرخاء والشدة ، والسراء والضراء ، فلا يؤثر على ما جاءَه عن اللّه على لسان الرسول ﷺ شيئًا قطُّ ، ولوكان في حسنِ اتباعه شرٌّ يُصيبه ، وفي تركه خيرٌ يدركه ، إذ الشرُّ كلُّه في ترك الاتباع رجاء خيرٍ يناله ، والخيْر كلُّه في لزوم الاتباع ولو أيقن أن شرًّا يحيق به ، والخير والشرُّ في كفتي ميزانٍ يوم القيامة ، والشائِلةُ منهما كفة الشرِّ ، والراجحة كفة الخير ، ولا يعلم دَقيقة الأَمر الخفية ، ولا صريحته الجلية إلا اللّه وحده ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأَنتم لا تعلمون ﴾ ولا أَدلَّ على حبِّ اللّه ورسوله من حسن اتباع رسوله ﴿ قل إِن كنتم تحبُّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

□ **المَعْلَمُ الثاني** – وعليه ، فإِن حسن اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام يقضي على أهل العلم أَن ينأَوا بأَنفسهم عن مواقعة خطوات العامَّة ، سواءٌ كان ذلك في التفكير العقلي ، أم في التأْويل العملي ، أَم في طرائق الكسب المعاشيِّ ، وإِلا ؛ فإِن العامَّة سيكون بيدهم زمام أَمر الأمة ، يسترخصون بها العقول ، ويسفِّهون بها الآراء ، ويهوِّنون من الصواب ، ويؤْثرون عليه الخطأَ ، ويضلُّ سعيهم في كسب الحلال ، ويطيب عندهم الحرام ، وأكثر ما يكون ذلك في الناس من حبِّ الدنيا ، وبغض

الآخرة : أما حبُّ الدنيا فَجِمَاعُهُ (المال والنِّساء) ، وأَما بغض الآخرة فجماعه (المعصية والعجزُ عن الطاعة) ، وإذا ما ألَمَّ أَهلُ العلم بالأسباب التي تفضي إلى حبِّ الدنيا وبغض الآخرة ، فقد آذنوا أَنفسهم أَن يكونوا مطايا باطلٍ ، وأَغلالَ حقٍّ ، وسؤْر رغائِبَ آسنةٍ ، في كؤوس من فخَّارٍ هشٍّ أسود !!!

يقول ﷺ : « الدنيا حلوة خضرة ، وإن اللّه مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ؛ فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

والتخفف من متاع الدنيا ، يثقل كفة الحسنات يوم القيامة ، والاستكثار منه يثقلُ كفة السيئات ، فلينظر أهل العلم ما يستكثرون منه ، وما يستقلُّون ، فإنهم على اللّه مقبلون ، وعلى ما فرَّطوا في جنب اللّه نادمون .

□ **المَعْلَمُ الثالث** – أَن يكون طلبهم العلمَ ابتغاءَ وجه اللّه واليوم الآخر ، فإنَّ العلم لا يصلح إلا بذلك ، فمن طلبه لدنيا ، أَو لشهرةٍ ، أَو لظهورٍ على الآخرين وغلبةٍ ، فقد أَنال نفسه حظًّا من عذاب أَليم ، وكان في الآخرة مع الذين يُسقون في النار ما يقطِّع أمعاءهم من شراب حميم ، يقول ﷺ : « من تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلَّمه إلا ليصيب عرضًا من الدنيا لم يجد عَرفَ الجنة يوم القيامة » .

وعليه ؛ فإن التباهيَ بالعلم ، في أي شكل من أشكاله ، أَو أية صورة من صوره ، أَو الحرص على تحصيل درجة من درجاته ، التي صار يصنَّف بها أَهل العلم ، أَو الوصول إلى مرتبة من المراتب التي صار يقاس العلم بها ، أَو الرضا بقبول لقبٍ من تلك الألقاب التي تسلَّلت إلى جامعات المسلمين ، تحمل معها صبغة التشبُّه والتقليد لأقوام لسنا منهم ، وليسوا منا – فذلك كلُّه مُزلِقٌ الحريصَ عليه ، المتباهي به في ضحضاحٍ من الإثم ، ومزحزحُهُ عن منبت الإيمان .

□ **المَعْلَمُ الرابع** – أَن يكون له سمتٌ ظاهرٌ يذكِّر الرَّائيه بسمتِ صاحب الميراث محمد عليه الصلاة والسلام ، إذ إن حسن اتباعه عليه الصلاة والسلام يُوجب على الوارثيه أَن لا يفرِّقوا في أَخذهم الميراث بين خفيِّ السلوك وظاهره ، فمن رأَى أَن

إحسان الباطن شيءٌ ممكنٌ له من غير إحسانِ الظاهر فقد أَخطأ ؛ ذلكم أن هذا التفريق إنما هو تفريقٌ بين شيئين متلازمين ، لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر ، ولا ينبتُّ منه « ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله » ولو كان ذلك ممكنًا لكان مأذونًا به من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

وما علمت الأُمة – على وفرة العلماء الوارثين في كل عصورها – أن شيئًا من هذا التفريق التُمس في ميراث النبوة فَعُلم ، ولو عُلِمَ لوصلَنا منه خبرٌ ، ولكن أَنَّى يكون ؟ وكيف ؟ وقد جمع اللّه لنا في شخص نبيِّه الفضل كلَّه ، وصوَّر لنا هديَه عليه السلام كاملًا ، في سمته الظاهر ، وسلوكه كلِّه ، ما علن منه وما خفي ، وجعله الأسوة الماثلة في عيون الأُمة في كل قرونها ، قال اللّه تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ ، والوارثون هم أَحقُّ الناس وأَولاهم بهذه الأُسوة ؛ لأنَّهم هم المعرِّفون الأُمة بها ، ومالم تُحفظ هذه الأسوة كاملةً غير منقوصةٍ في شخوص طائفةٍ من الأمة ، فإنَّ هذه الأُسوة سوف تغيض في نفوس الأمة ، وربّما غابت عن قلوبها تذكُّرًا كما غابت عن عيونها رؤْيةً ، ولا أَحسب إلا أنَّ هذا كائن في الأمة اليوم ، وجلُّ الوزر – في هذا الذي كان – يحمله من ينسج من تأْويل الأحكام الشرعية ثوبًا مزركشًا (بالهوى والجهل والنفاق) ، وإن اللّه سبحانه يعافي الأُميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء ، فليكن أَهل العلم على حذرٍ من التفريط أَو التهوين في لزومهم سَمْتَ صاحب الرسالة الذي قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث مالًا ، إنما نورِّث العلم » ، وسَمْتُهُ بحذافيره محفوظ لنا في بطون كتب السنة ، والمخالفةُ عن سَمْتِه نبذٌ له ، وإيثار لغيره عليه، وهذا يُضعف من حبِّه ، ويزيد من حبِّ غيره .

□ **المَعْلَمُ الخامس** – أَن يكون أَخذُهُم العلم – من كتاب اللّه وسنة نبيه عليه السلام – أخذًا مباشرًا على منهج القرون المفضَّلة الأُولى ، التي حازت قصب السبق (بالتلقِّي ، والفهم ، والعمل ، والجهاد ، والدعوة) ، فاستحقَّت شهادةً من صاحب الرسالة لم تكن لسواها ، فقال فيها : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين

يلونهم » ، وتعرف أَنَّ هذا المنهج لا يشقُّ إلا على ثلاثة من الناس : (رجل أَوهن قوّته بالمذهبية العمياء) ، و (رجلٌ قعدت به همَّتُه عن الغاية) ، و (رجل عميت بصيرته في ظلام الغواية) ، وإلا فما الذي يحول بين الناس وبين الأخذ الواضح المبين عن تلك القرون التي استحقَّت شهادة إمامها ومربِّيها والناقل لها وحي السماء ؟

ولولا تلك القرون البصائر ، لَعُمِّيت على الأمة في كل قُرونها طرائقُها والمصائِر.

□ **المَعْلَمُ السادس** – أن يعرف هؤلاء الوارثون الزمان الذي يُظلُّهم : بأَهله ، وأحواله ، والمستجدات الحاضرة ، والمتغيرات المتسارعة ، فيعلموا أَنَّ له حقًّا عليهم – بكل ما فيه – لا يؤدَّى إلا بدقة النَّظر ، واستجلاء الدليل ، وإقامة البرهان ، وربَّما كان من ذلك الخطأ ، كما يكون منه الصواب ، لكنه خطأٌ يثاب به المخطئ ، ويضاعف الأجر فيه للمصيب « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أَجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أَجر واحد » كما قال عليه الصلاة والسلام ، وبمثل هذا يكون الوارثون بذلوا جهدًا لم يكن إلا لأنهم علموا أَنَّ لميراث النُّبوة حقًّا لا يقومُ أَمامه بابٌ منيعٌ أغلقته عقولٌ لا تعرفُ لزمانها حقًّا ، ولم تذق لذَّة الأشواق التي ترفرف بأَجنحتها فوق آفاق القرون بميراث النبوة الوضيء .

□ **المَعْلَمُ السابع** – أن يكونَ تعاونٌ بين هؤلاء الوارثين لرفع آصار الجهل من بين ظهرانَي الأُمة ، وإرساء قواعد العلم الذي آلَ إليهم ميراثًا من نبيِّهم عليه الصلاة والسلام ، ولستُ بحاسبٍ إلا أن المنهج العلمي الذي رسمته القرون المفضَّلة الأُولى ، بات – والحمد للّه – واضحًا بمقاصده ، وآلاته ، ودلالاته ، ومعالمه ، وأصوله ، وضوابطه ، فما ينبغي – بل وليس من آداب العلم ، ولا آداب النفوس ، بل ولا من التقوى في شيء – أن يُقَدَّم منهجٌ من مناهج المتأَخرين على ذلك المنهج – لا لظنٍّ سوءٍ في أصحاب تلك المناهج ، ولا لمقارفة آثامٍ تُرَدُّ بها شهاداتهم ، ولا لجهلٍ التاثت به مناهجهم ، فهم مصروفون به عن الصواب والحقِّ – ليس لشيء من ذلك ، بل لأَمرٍ آخر ، أَلا وهو : أَنه لم يكن بين صاحب الميراث عليه السلام وبين هذه القرون حاجزٌ

زمنيٌّ يفصل بينهما ، قد يطرأُ النسيانُ به على شيءٍ من الميراث ، أَو يُحدث خللًا بين أَجزائه المترابطةِ بسقوط بعضها ، أَو فقدانها ، أَو تآكلها واهترائها ، فبقيت أَجزاءُ هذا الميراث سليمةً متعاضدةً ، يشدُّ بعضها بعضًا ، فأَصابت منه هذه القرون خيرًا كثيرًا ، وظلَّ منهجًا محفوظًا بحفظ اللّه سبحانه ، إذ الفهمُ الصحيحُ لميراث النبوة هو جزءٌ لا يتجزَّأ من المنهج نفسه ، فلا بُدَّ من العودة إليه ، لينتفي عن الإسلام المحدثات والبدع ، والشوائب التي تطرَّقت إلى عقيدته وأحكامه ، وتلقَّتها القرون والأَجيال المتأخرة بعضها عن بعض بالرضا والإذعان .

ومن نعمة الله على هذه الأُمة أَن الأَصول التي صلحت عليها القرون الأُولى هي الأُصول ، لم تَغِبْ ، ولم تتبدَّل ، ولم يختلف بعضها على بعض ، ولا تُفهم هذه الأُصول إلا بقلوبٍ وعقولٍ تنهجُ نهجَ القرون الأُولى في طريقة التفكير والنظر ، فلا صلاح للمتأخِّر منها إلا بما صلُح به المتقدِّم ، ولا لقاء بين النهايات والبدايات إلا بأَن تجري كلُّها على النَّسق الواحد ، الذي أَجراه صاحب الميراث الأَول .

وبهذه المعالم تتحدَّد هُوية وارثِ علمِ النبوة من العلماء ، ولا يكون بينهم معاداةٌ ، ولا خصومةٌ ، ويقلُّ التحاسد والتباغض ، وتتداعى فيهم أسباب المودة والتعاون ، ولا يستكبر بعضهم على بعض ، ويسعى كلٌّ منهم في خير إِخوانه ، فإِنَّ المنهج المتأصِّل فيهم كتابًا وسنَّةً على وفق فهم السلف الصالح ، تَستَبين به العقيدةُ السليمةُ الصحيحةُ ، وتتَّضح به الفروعُ والأَحكامُ الشرعيةُ المؤسَّسةُ على الأدلة المحكمة من آيات الكتاب الحكيم ، ونصوص السنة المطهَّرة ، فهو رَحِمٌ واصلةٌ بينهم .

وإن كان من اختلافٍ يكون بينهم فإِنَّه لا يعدو أن يكون مشبهًا ما كان يجري بين أَهل القرون المفضلة الأُولى ؛ يؤلِّف بينهم ، ولا يفرِّقهم .

وعلى أساس هذا المنهج تُبنى وحدةُ الأُمة ، ويَلتَئِم صفُّها ، ويشتدُّ قرارها ، وتتوارد على بُعْدِ أَقطارها ، واختلاف أَلسنتها وأَلوانها .

فهل إلى هؤلاء العلماء من سبيل ؟!!!

وقفات مع كتاب

« السَّلفية مرحلة زمنيَّة مباركة لا مذهب إسلامي »

(لمحمَّد سعيد البوطي) (الحلقة الأولى)

محمَّد فريز منفيخي

قسَّم المؤلِّف كتابه إلى ثلاثة أَبواب : اختص الباب الأَوَّل ببيان المنهج الجامع ، بينما اختص الباب الثاني ببيان تطبيقاتٍ لهذا المنهج الجامع فيما أَدَّى إليه من اتفاقاتٍ ، أَو اختلافاتٍ أَو مسائل غير محسومة ، ثمَّ تطرَّق في الباب الثالث إلى مسأَلة السَّلفية .

سنحاول أن نتتبَّع المؤلف في أَبواب كتابه لمناقشته في بعض أَفكاره ؛ لما في ذلك من خير للمؤلف أَو للقارئ على مبدأ سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه تعالى عنه الذي رُوي عنه أَنَّه قال : « رحم اللَّه امرءًا أَهدى إليَّ عيوبي » ، حيث اعتبر بيان هذه النقاط من الهدية التي تستحق الشكر ، والدعاء له بالرحمة من اللَّه تعالى .

مناقشة الباب الأَوَّل المُعَنْوَن :

العوامل التي أَدَّت إلى ظهور المنهج العلمي مع تعريف موجز به

جهد المؤلف في هذا الباب في توضيح المنهج الجامع - الذي يضبط عملية فهم وشرح وتفسير العقيدة الإسلامية - معتبرًا إيَّاه أُسلوبًا مقنَّنًا واضحًا ، ينتج فهمًا سليمًا موحَّدًا للنصوص الشرعية ، ويضمن مسيرة الأُمَّة الإسلامية والفكر الإسلامي في مسارٍ واضحٍ محدَّدٍ لا لبس فيه ولا غموض ؛ لأَنَّه كما عرَّفه المؤلف (ص : ٦٠) : « الطريق التي تضمن للباحث أَنْ يصل إلى الحق الذي يبتغيه »، ويزيدنا في (ص: ٦٣) فيقول : « إذن ؛ فمنهج المعرفة الإسلامية والانضباط بمبادئه وأَحكامه يتكون من ثلاثة

أَجزاء » ، وهي كما شرحها في بداية الصفحة السابقة نفسها :

١ - التأَكُّد من صحة النصوص الواردة والمنقولة من فم سيدنا محمَّد ﷺ قرآنًا كانت أَم حديثًا .

٢ - الوقوف بدقَّةٍ على ما تتضمَّنه وتعنيه تلك النّصوص .

٣ - عرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد - التي وقف عليها ، وتأَكَّد منها - على موازين المنطق والعقل .

ثمَّ يقرِّر المؤلف بأَن جهد المسلمين على مرِّ العصور انصبَّ بفاعليَّةٍ ونجاحٍ على الجزء الأَوَّل فانضبط تمامًا ، وتمَّ التمييز بدقَّةٍ بين النصوص الصحيحة والموضوعة والضعيفة بجهد مبتكر وكبير .

أَمَّا الجزء الثاني - الذي هو فهم هذه النصوص - فقد قرَّر المؤلف في بداية (ص : ٦٩) بأَنَّ « مردّ جانب كبير من الاضطراب والنزاع المتفاقمين في الاجتهادات والفتاوى الفقهية والمسائل الاعتقادية - إلى فقدان ميزانٍ متفقٍ عليه بين أَيديهم في فهم النصوص وتحديد دلالاتها » - سنسمي الجزء الأَوَّل من الجملة هذه بالحكم الأَوَّل للمؤلف ، والجزء الثاني منها بالحكم الثاني للمؤلف ، حيث سنستعرض أَحكام المؤلف لاحقًا ونناقشه فيها .

ثمَّ قرر المؤلف في الصفحة نفسها أَنَّ « هذا هو الميزان الذي تم اكتشافه وتدوينه فيما بعد » - سنسمي هذه المقولة بالحكم الثالث للمؤلف - أَي أَنَّ المؤلف يقول لنا : إِنَّ الرعيل الأَوَّل (السَّلف الصالح) لم يكن لديهم هذا الميزان ؛ فحدث بينهم الاضطراب والنزاع المتفاقمان في الاجتهاد والفتوى الفقهية ، ثمَّ جاء وقت بعد ذلك - دون تحديدٍ لزمن هذه البَعدية - تمَّ اكتشاف وتدوين هذا الميزان على يد الخلف الصالح « فكان الدعامة الثانية في بنيان منهجٍ متكاملٍ لمعرفة الدين وأَحكامه الاعتقادية والسلوكية » (ص : ٦٩) !!

ثمَّ عاد المؤلف فجأةً - بعد شرحه لأحكام هذا الميزان ، وتفصيله لمراحله وأقسامه وضوابطه - ليقولَ في (ص : ٨٠) : « غير أنَّ قواعد هذا الميزان ليست كلُّها محلَّ اتفاقٍ من علماء هذا الشأن » - سنسمي هذه المقولة بالحكم الرابع للمؤلف - ويفسر لنا معنى قوله : علماء هذا الشأن : « بأنَّهم أولًا وبالذَّات علماء اللغة العربية وفقهها » - سنسمي هذه المقولة بالحكم الخامس للمؤلف .

ويتابع المؤلف في الفقرة الأُولى من الصفحة نفسها شرح أفكاره بقوله : « إذ إنَّ قواعد تفسير النصوص قواعد حيادية تنبثق من أُصول الدلالات اللغوية وفقهها ، ومردّها إلى اللغويين والمتخصصين باللغة العربية ، ونظرًا إلى أنَّ نصوص القرآن والسنَّة مصوغة باللغة العربية فهي خاضعة دون ريب لقواعدها الدلالية والبيانية ، وهي قواعد لغوية صافية لا تتأثَّر بأيِّ وجهة دينية ، أو مذهب فكري ، وهذا معنى قولنا عنها بأنَّها قواعد حيادية » - سنسمي الجزء الأوَّل من هذه الجملة بالحكم السادس ، والجزء الثاني منها بالحكم السابع للمؤلف .

ويزيدنا المؤلف شرحه فيقول في الفقرة الثانية من الصفحة ٨٠ : « غير أنَّ الكثير من هذه القواعد وإن كان محلَّ اتفاقٍ من أئمَّة اللغة إلَّا أنَّ فيها أيضًا ما هو محلُّ نظرٍ وخلافٍ فيما بينهم ، وقد كان لابد أن تنعكس هذه الخلافيات على اجتهادات الباحثين فيها من علماء الكلام ، وعلماء الشريعة الإسلاميَّة » - سنسمي هذه الجملة بالحكم الثامن للمؤلف .

يقرِّر المؤلف أيضًا في (ص : ٩٢) بأنَّ « ما تمَّ الاتفاق عليه بين علماء الشريعة الإسلامية وأئمَّة هذا الدين ، وما قد اختلفوا فيه - سواء ما كان متعلِّقًا من ذلك بالمعتقدات ، وما كان عائدًا إلى فقه السلوك وأحكامه - إنَّما تم ذلك كله تحت مظلة هذا المنهج ، وبمقتضى طبيعته ، وما قد يستلزمه واقعه » - وسنسمي هذه المقولة بالحكم التاسع للمؤلف .

ثمَّ ينتهي المؤلف (ص : ٩٣) إلى أنَّ « سبب الخلاف الذي وقع في النِّقاط

التي اختلفوا فيها أَن قواعد المنهج ذاته تستلزم ذلك ، أَو لا تتكفَّل - على أَقلِّ تقدير - بتوفير عوامل الاتفاق ، وسدِّ منافذ الاختلاف في تلك النقاط التي اختلفوا فيها ، ولله في ذلك حِكَم باهرة ، ولا يعجز اللبيب المنصف عن إِدراكها » . - سنسمي الجزء الأَوَّل من النَّص السَّابق بالحكم العاشر ، بينما الجزء الأَخير بالحكم الحادي عشر للمؤلف !!

هذا ملخص ما استغرق المؤلف في شرحه وتمحيصه (ثمانيًا وتسعين) صفحة كاملة من الكتاب المخصص أَصْلًا لدراسة السَّلفية !

وقبل أَن نقفَ على علاقة عنوان الكتاب بهذا البحث لابد من وقفةٍ لتمحيص هذه الأَفكار المهمة ، التي تتناول أُسس فهم ودراسة الشريعة الإِسلامية وأَحكامها ، على أَساس أَنَّ كل إِنسان يؤخذ منه ويردُّ عليه ما عدا رسول اللَّه ﷺ ، ولا عصمة لأَحدٍ ، ولا حجة له بالتخصص ، فإِنْ جانب أَيَّ مؤلف الصوابُ في بعضها فلكلِّ عاقلٍ الحقُّ - مهما كان تخصصه العلمي - في مناقشته وصولًا إِلى الحق والصواب الذي هو هدف كل باحث علمي .

سنلخص الآن الأَحكام الأَحد عشر التي أَطلقها المؤلف في كتابه :

الحكم الأَوَّل - يوجد جانب كبير من الاضطراب والنزاع المتفاقمين في الاجتهادات ، والفتاوى الفقهية ، والمسائل الاعتقادية .

الحكم الثاني - إِنَّ سبب ذلك هو عدم وجود ميزانٍ متفقٍ عليه بين أَيديهم في فهم النصوص ، وتحديد دلالاتها .

الحكم الثالث - لقد تمَّ اكتشاف هذا الميزان وتدوينه فيما بعد .

الحكم الرابع - إِنَّ قواعد الميزان هذه ليست كلها محلَّ اتفاقٍ من علماء هذا الشأْن .

الحكم الخامس - إِنَّ علماء هذا الشأَن هم أَوَّلًا علماء اللغة العربية .

الحكم السادس – إِنَّ تفسير قواعد الشريعة الإِسلامية مردُّه إِلى اللغويين ؛ بسبب أَنَّ نصوص الشريعة مصوغة باللغة العربية ، فهي خاضعة – دون ريب – إِلى قواعد اللغة الفقهية ، ودلالاتها البيانية .

الحكم السابع – إِنَّ القواعد اللغوية صافية لا تتأَثَّر بأَيَّة وجهة دينية ، أَو مذهب فكري ، وهي قواعد حيادية .

الحكم الثامن – انعكست خلافيات أَئمَّة اللغة على اجتهادات الباحثين من علماء الكلام وعلماء الشريعة الإِسلامية .

الحكم التاسع – يوجد اختلافات في المعتقدات ، وفقه السّلوك ، وأَحكامه بين أَئمَّة هذا الدين ، وهذا الاختلاف تحت مظلة المنهج الجامع ، وبمقتضى طبيعته ، وما قد يستلزمه واقعه .

الحكم العاشر – إِنَّ قواعد المنهج تستلزم وجود الخلاف ، أَو لا تتكفل على الأَقل بتوفير عوامل الاتفاق على أَي نقاط .

الحكم الحادي عشر – إِنَّ خلاف علماء الشريعة على المعتقدات ، وعلى فقه السّلوك وأَحكامه ، وخلاف علماء اللغة – وإِنَ كان منهجهم يستلزم وجود الخلاف – كل ذلك سببه أَنَّ اللّه له في ذلك حكم باهرة ، لا يعجز اللبيب المنصف عن إِدراكها .

وإِنَّنا نقول : إِنَّ المؤلف بنى تحليله السَّابق بناءً تحكُّميًّا غير واقعي ، بناءً سعى من خلاله إِلى تكوين هذه الأَحكام ؛ بينما التاريخ ، والواقع يخبرنا غير ذلك ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١ – إِنَّ القرآن الكريم – الذي هو المصدر الأَوَّل للشريعة الإِسلامية – هو كلام اللّه تعالى ، الذي أَوحاه إِلى رسوله العربي الكريم باللغة العربية المتداولة والمفهومة في ذلك الوقت من العرب المتلقِّين لهذا الوحي .

٢ - إِنَّ المقصود من أَي كلام هو نقل المعاني والأَفكار من مصدر الكلام إِلى متلقِّي هذا الكلام ، ونصُّ القرآن الكريم هو كلام اللَّه تعالى الذي توجَّه به إِلى عباده أَجمعين ؛ لينقل إِليهم جملة من المعاني والمعارف والعلوم والتوجيهات بوعاءٍ هو اللغة العربية ؛ لأَنَّها لغة القوم الذين خصَّهم اللَّه بتلقي آخر رسالاته للبشر ، فلو أَنَّ اللَّه تعالى اختار قومًا آخرين ، لما أَعجزه إِنزال كلامه بلغتهم ؛ لإِفهامهم كلامه ، وتكليفهم برسالته ، لكنا نحمد اللَّه تعالى أَن اختار لغتنا وعاءً لكلامه عزَّ وجلَّ ، وأَن اختار رسوله من العرب ، وأَنَّه كلفهم بحمل الرسالة للعالم ، أَي أَنَّ المعاني أَوسع بكثير من أَن يتسع لها لفظٌ أَو كلمةٌ مهما كانت معبِّرة .

وكما نعلم فإِنَّ المعاني يمكن نقلها بدون كلام : بالعين ، أَو باليد ، أَو بتعبير الوجه ، لذلك نقول : إِنَّ السنة هي ما قاله ، أَو فعله ، أَو قرره رسول اللَّه ﷺ ؛ لأَن في القول والفعل والإِقرار نقلًا لمعنًى من المعاني التي يشرح بها رسول اللَّه ﷺ آداب الإِسلام وأَحكامه ، كما أَنَّ القرآن الكريم أَتى بمعانٍ جديدة لأَلفاظٍ موجودةٍ وشائعةٍ كالزَّكاة والصَّلاة والحج وغير ذلك ، أَي أَنَّ القرآن الكريم استعمل أَلفاظًا شائعةً لها معانٍ معيَّنة ، لكنه أَعطاها معاني جديدة لم تكن لها ، يمكن وصفها بأَنَّها معانٍ إِسلامية ، وكذلك يفعل كل علم من العلوم ؛ حيث يستخدم أَلفاظًا متداولةً يعطيها معاني جديدة من مكنونات هذا العلم الجديد ، وسبب ذلك أَنَّ المعاني بشكل عام غير محدودة ، بينما الأَلفاظ في أَيَّة لغة من اللغات لابد وأَنْ تكون محدودة .

٣ - كان للعرب قبل الإِسلام صولاتٌ في الشعر العربي والسليقة الفصيحة نتيجة عزلة العرب في صحرائهم ، وعدم اختلاطهم بالشعوب الأُخرى كثيرًا ، وكانت لهم ذاكرةٌ قويَّةٌ واسعةٌ تسجِّل فيها الأَحداثُ والأَنسابُ والأَشعارُ ، بدلًا من الكتابة التي كانوا يجهلونها ، أَي أَنَّ اللَّه تعالى هيَّأ هذا الشعب العربي لمرحلةٍ أُولى ، وهي تلقِّي كلامه المنزَّل على رسوله بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، وحفظ هذا الكلام ، ونقله للشعوب الأُخرى .

٤ - إِنَّ اللغة العربية كانت لغة محادثة ، ليست مكتوبة وليست مخدومة علميًّا ، وكان العرب قومًا أُمِّيين كما قرَّر القرآن ، وكما يخبرنا التاريخ ، وبالتالي فإِنَّ مختلف القواعد اللغوية في مختلف مناحي اللغة العربية كتبت واستنبطت بعد الإِسلام معتمدةً في ذلك على نصِّ القرآن الكريم أَساسًا .

٥ - إِنَّ أَغلب قواعد اللغة العربية ، وأَحكامها ، وقواعدها ، وكثيرًا من مفرداتها وصورها البيانية والمعاني الواسعة التي تعرضت لها - مصدرها جميعًا القرآن الكريم كلام اللَّه تعالى ، وهو الذي حفظ اللغة العربية ، وصانها على مرِّ العصور نتيجة تمسُّك المسلمين بكتابهم ، ولولا هذا القرآن لما استمرت اللغة العربية كل هذه السنوات ، على الرغم من هزيمة المسلمين في أَنحاء العالم كافةً أَمام أَعدائهم ، ومحاولاتهم المستميتة وقفَ اللغة العربية ، أَو تحويرها ، أَو صرف المسلمين عنها .

٦ - إِذا كان القرآن الكريم هو المصدر الذي أَعطى اللغة العربية مجالاتها الكبيرة الجديدة ، وأَغناها بالصور والمعاني والقواعد والبلاغة - فكيف نُخْضعه نفسَه إِلى هذه القواعد التي أَرساها ، وأَنشأَها ، وطوَّرها ؛ لذلك فإِنَّ القول : (إِنَّ الشريعة الإِسلامية خاضعةٌ وتابعةٌ لأَلفاظ اللغة العربية وقواعدها ، وإِن علماء الشريعة الإِسلامية يَتْبَعون في فهمهم لأُصول الشريعة وقواعدها لعلماء اللغة العربية) فيه تعسُّف كبير بالشريعة نفسها ، فكيف نُخضع المعنى للَّفظ ؟؟ وكيف نُخضع الهدف للوسيلة ؟!

٧ - لنضرب على ذلك بعض الأَمثلة :

أ - عندما أَمر رسول اللَّه ﷺ المسلمين بعد معركة الأَحزاب بأَنَّ (من كان حاضرًا معنا سامعًا مطيعًا فلا يصلِّينَّ العصر إِلَّا في بني قريظة) هذا الأَمر المباشر من الرَّسول القائد إِلى جنوده ومحبيه بأَلفاظ مباشرة وواضحة تمامًا بوجوب عدم صلاة العصر إِلَّا بعد الوصول إِلى مواقع بني قريظة ، فكيف كانت استجابة الصَّحابة من السلف الصالح لهذا الأَمر ؟ كما نعلم ، تصدَّى الجميع للتحرك بحسب الأَمر إِلى مواقع القتال الجديد ، لكن عندما أَدركتهم الصَّلاة انقسموا إِلى قسمين : القسم الأَول

تشبث بحرفيّة النَّص بأَنَّه لا صلاة للعصر إلَّا بعد الوصول إلى الموقع ولو فات وقت الصَّلاة ، بينما وازن فريق آخر بين أَمر القائد بلفظه ومعناه الضِّمني بوجوب التحرك السريع ، وبين أَمر اللَّه تعالى بالصَّلاة في وقتها ، فصلَّى بعضهم العصر بسرعة على الطريق فجمعوا بذلك الحسنيين : وهما الاستجابة لأَمر رسول اللَّه بسرعة التحرك ، والاستجابة لأَمر اللَّه بالصَّلاة في وقتها ، ولم ينكر الرَّسول القائد على أَيٍّ من الفريقين تصرُّفه .

ب - حديث رسول اللَّه ﷺ بأَنَّه إذا حدث الخسوف أَو الكسوف فصلُّوا حتى تنجلي .

فقد فهم فريق من المسلمين اللفظ بأَنْ نستمر في الصَّلاة إلى أَن ينجلي الخسوف أَو الكسوف ، ولو استمر ساعة أَو ساعات ، وفريق آخر فهم اللفظ نفسه بأَن نصلِّي للَّه تعالى خوفًا منه ورجاءً بهدف أَنْ تنجلي ، ونعتقد - ضِمْنَ هذا البيانِ - أَن لفظ (حتى) يتسع لكلا المعنيين : (إلى أَنْ) و (بهدف أَنْ) ، ولا ضرر ولا مخالفة في فهم أَيٍّ من هذين المعنيين .

٨ - لم يحدث اضطراب أَو نزاع - كما يقرر المؤلف في حكمه الأَول - في الاجتهادات ، والفتاوى الفقهية ، ولا في المسائل الاعتقادية بين المسلمين ؛ إنَّما كانت هناك خلافات كما نسميها اليوم خلافات سياسية ، أَمَّا المذاهب الفقهية فهي تتكامل مع بعضها البعض ، وتجتهد في انتزاع المعاني المتعددة ، التي يمكن فهمها من نصٍّ واحدٍ ؛ بحيث تؤدي الغرض العام للشريعة الإسلامية ، ولا تخالف أَيًّا من توجُّهاته الأَساسية .

٩ - إذا سلَّمنا بحكم المؤلف الأَول ؛ أَي بوجود اضطراب ونزاع في الاجتهادات والفتاوى في المسائل الاعتقادية أَي في العقيدة - وهو ما نخالفه فيه - فهو يضيف حكمًا ثانيًا بأَنَّ سبب ذلك الاضطراب الموهوم هو فقدان ميزان متفق عليه في فهم النصوص وتحديد دلالاتها ، فالمؤلف قد افترض أَنَّ النزاع التاريخي الذي

حصل بين المسلمين هو نزاع حول الاجتهادات والفتاوى ، بينما الذي حصل - كما قلنا - هو اختلاف حول حسن تطبيق التعاليم الإسلاميّة ؛ فكلٌّ منهم كان يرى في نفسه القدرة على حسن تطبيق الإسلام ، ونشره أكثر من غيره ، وبالتالي فلا خلاف في الفتوى ، بل ولا يمكن أنْ يؤدي الخلاف في الفتوى إلى النزاع ، لكن الذي يدفع للنزاع هو الخلاف على السلطة السياسية ، إذن ؛ فالحكم الأوّل غير صحيح ، وبالتالي فإنَّ تَسويغَه بفقدان الميزان أيضًا غير صحيح .

١٠ - يقرر المؤلف في حكمه الثالث أنَّه قد تم اكتشاف هذا الميزان المنهج وتدوينه فيما بعد ، إلَّا أنَّه لم يبين لنا بالتفصيل المدد الزمنية التي كان فيها هذا الميزان مفقودًا : هل هي في عصر النبوة ، أم في عصر الخلافة الرّاشدة ، أم بعد ذلك ؟ ومتى تمَّ اكتشاف هذا الميزان ؟ ومتى تم تدوينه ؟ وأين دُوِّن ؟

بقي هذا التحديد سرًّا لا نعلمه ، ولا نستطيع أن نخمِّن من عندنا شيئًا ، ونجيب عليه حتى نحاور أنفسنا ؛ لأنَّ تحديد أيٍّ من هذه المدد الزمنية بأنَّها مدة فقدان الميزان المنهج سيصيبنا بكارثة فكرية نحن في غنًى عنها .

١١ - من غير الدخول في تفصيلات المنهج الميزان الذي قرر المؤلف اكتشافه وتدوينه في زمنٍ ما - لم يحدده - نقرأ حكم المؤلف الرابع على المنهج الميزان نفسه ، فيقول : « إنَّ قواعد الميزان هذه ليست كلها محل اتفاق من علماء هذا الشأن » ، وإنَّني لأتساءل ، كما أرى أنَّه تساؤل كل من يقرأ هذا الكلام : كيف يمكن اعتبار وجود منهجِ ميزانٍ - يتم على أساسه تفسير وفهم عقيدة إلهية مرسلة للبشر ، فيها عقائد وأفكار وأوامر ونواهٍ وتنظيمات للحياة ووعود مهمة للحياة الآخرة - وقواعد هذا المنهج ليست كلها محل اتفاق من علماء الشأن ؟

أي : مَن يقرر لمن ؟ هل علماء الشأن هم الذين سيوضحون لنا ديننا ، وكلام ربِّنا ، وهَدْيَ نبينا ، وهم مختلفون فيما بينهم ليس فقط في معاني الألفاظ ودلالاتها ، ولكن أيضًا في قواعد المنهج الميزان ذاته الذي سيحدَّد على أساسه كلُّ ما ورد في

القرآن الكريم من صفات اللَّه وقدراته ، ومن حقيقة خلقه للكون والإنسان وللعالم الآخر ، ومن أوامره ونواهيه للإنسان المسلم ، ومن تنظيمه لحياة المسلم ولعلاقاته مع خالقه ومع النَّاس ومع نفسه ؟ أم أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ هو صاحب الشأن الذي يحدد لنا كل ذلك بكلام واضح مفهوم يعلم أنَّه منزله على قوم أمِّيين محدودي العلوم والمعارف والاهتمامات ، وقد فهمه هؤلاء النَّاس على حالهم المذكور ، ونجحوا في هذا الفهم بتقرير رسول اللَّه ﷺ ، وباعترافنا بأنَّهم هم السَّلف الصَّالح في كل شيء ، ويشهد بذلك السجلُّ التاريخي المتواتر للمسلمين الأوائل ، وبعد أن لا يستطيع المسلم المعاصر - بعد ألف وأربع مائة سنة من الدراسة ، والتمحيص ، والتدقيق ، والشروحات ، والتطبيقات المختلفة - أنْ يفهم نصوص المصادر الإسلامية الثابتة ، التي لم تتغير منذ بداية الوحي حتى الآن ، بدون هذا المنهج الميزان غير المتفق على قواعده حتَّى بين علماء هذا الشأن !

١٢ - يقرر المؤلف في حكمه الخامس بأنَّ علماء هذا الشأن هم أوَّلًا علماء اللغة العربية وفقهها ، أي أنَّ المؤلف يعطي علماء الألفاظ سلطة تحديد المعاني ، وشرح الشريعة الإسلامية ، وفي ذلك طغيان الجزء على الكلِّ ، وتعسُّفٌ على المعاني نفسها ، فكما بيَّنا فإنَّ اللفظ أسير المعنى ، وليس العكس تمامًا ، طبعًا لا بد لمن يتصدَّى لتفسير كلام اللَّه تعالى وسنة رسوله الكريم من المعرفة والإلمام بقواعد اللغة العربية وأُصولها ، ومعاني ألفاظها الذي كان سائدًا أيام عصر التنزيل ؛ لأنَّه قد تصدَّى لعلوم الشريعة علماء أفاضل من غير أبناء العرب ، فكان هذا الدخول سببًا ثانيًا دفع ببعض العلماء لتقنين قواعد اللغة العربية وعلومها ، فإذا أتقنها العالم من أية جنسية كان ، انتقل بعدها للعمل على فهم وشرح قواعد الشريعة الإسلامية ، وهذه حالة كل من يريد الاضطلاع بالعلوم الشرعية ، أمَّا أنْ نقول : (إنَّ علماء الشأن هم أوَّلًا علماء اللغة العربية) فإنَّ فيه تعسُّفًا على الشريعة ، وحَجْرًا على كلام اللَّه وسنَّة رسوله الكريم .

١٣ - سار المؤلف شوطًا أبعد ، فقرر في حكمه السَّادس بشكل واضح لا لبس

فيه أَنَّ تفسير قواعد الشريعة الإِسلامية مردها إِلى اللغويين فقط ، وسبب ذلك كون النصوص الشرعية مصوغة باللغة العربية ، فهي خاضعة - ودون ريب - إِلى قواعد اللغة العربية ودلالاتها البيانية .

إِذا كان ما يقوله المؤلف صحيحًا ، فكيف يحكم على المدة التي تم فيها تفسير الشريعة الإِسلامية وتطبيقها قبل أَنْ يتكرم علينا السَّادة علماء اللغة العربية بوضع وتحديد قواعد اللغة العربية ودلالاتها البيانية ؟ وهذا العمل تم كما نعلم بعد الإِسلام وبسببه ، وهذه المدة من أَهم المدد الإِسلامية ، وهي تشمل عصر النُّبوة والخلافة الراشدة ، أَو السَّلف الصَّالح بشكل عام .

كما يمكننا أَن نتساءل : كيف ستفسَّر لنا قواعد الشريعة الإِسلامية ، والسَّادة اللغويون أَنفسهم - كما يقرر المؤلف في حكمه الرَّابع - غير متفقين أَساسًا على قواعد المنهج الميزان الخاص باللغة العربية ؟

١٤ - يؤكد المؤلف في حكمه السَّابع أَنَّ القواعد اللغوية صافية ، لا تتأَثَّر بأَيَّة وجهة دينية ، أَو مذهب فكري ، وهي قواعد حيادية !

ولا ندري هنا ، هل يخاف المؤلف على قواعد اللغة من الدين ، أَم أَنَّه يبرِّئها من التأَثر به ؟! وكما قلنا : إِنَّه لولا الدين الإِسلامي لتحولت اللغة العربية إِلى متاحف التاريخيين ، كاللغات الإِغريقية والهيروغليفية والسريانية والقبطية ، ولما ظهرت لها القواعد ، ولما حفظت على مر العصور ، أَو لبقيت كلغاتٍ كثيرٍ من الإِفريقيين لغة محادثة غير مكتوبة إِن بقي من يتحدَّث بها ، وإِن الفضل كل الفضل في بقاء اللغة العربية وأَهميتها هو للقرآن الكريم كلام اللَّه تعالى الذي نزل بلسان عربي مبين ، ثمَّ لعلماء الدين الإِسلامي الذين خدموا اللغة العربية ، ووضعوا لها القواعد والشروحات ، وبينوا دلالاتها اللغوية ، وأسلوبها البياني المعجز من خلال القرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّة المطهرة .

١٥ - يقرر المؤلف في حكمه الثامن أنَّ خلافات أَئمَّة اللغة انعكست على اجتهادات الباحثين ؛ سواء من علماء الكلام - أَي الفلاسفة - ومن علماء الشريعة الإِسلامية ، ويقرر المؤلف هنا - أَيضًا - أَن آراء اللغويين هي الأَصل ، وأَنَّ صياغة علوم الشريعة تابعة بشكل تام لهم ، سواء في إِيجابياتهم وشروحاتهم أَم في سلبياتهم وخلافاتهم ، فإِذا كان علماء اللغة مختلفين ، وبسبب خلافاتهم تقع خلافات بين علماء الشريعة ، فمن سيشرح لنا ديننا الذي هو عصمة أَمرنا ؟ وكيف سنهتدي إِلى القرار الواضح البيِّن في أُمور الدين من الحلال والحرام والمعاملات والسلوك والعقائد ؟

ولا أَعتقد أَنَّ هذا كان حال علماء السَّلف الصالح الذين فهموا وحي اللَّه ، وفهموا كلام رسوله الكريم ، وطبَّقوا ذلك بنجاح واقتدار ، فهذا عمر بن الخطَّاب عندما أُتي له بسارق معترف ، فبدلًا من أَنْ يقطع يده كما هو الحكم الشرعي ، عاقب صاحب الأَرض قائلًا له : إِنَّك لم تعلِّمه إِذ كان جاهلًا ، ولا أَطعمته إِذ كان جائعًا ، أَي أَنَّ تطبيق الحد يكون بعد الإِعذار العلمي والمادي ، وليس قبل ذلك ، وهذا من توسع الخليفة - رضي اللَّه عنه - في مجمل العلم الشرعي معتبرًا الجوع والجهل من شبهات تطبيق الحد استنادًا إِلى حديث رسول اللَّه ﷺ « ادرأُوا الحدود بالشبهات ، ادرأُوا الحدود ما استطعتم » .

١٦ - يقرر المؤلفُ في حكمه التاسع وجودَ اختلافات في المعتقدات وفقه السلوك وأَحكامه بين أَئمَّة هذا الدين ، وهذا الاختلاف تحت مظلَّة المنهج الجامع ، وبمقتضى طبيعته وما قد يستلزمه واقعُه .

هذه أَول مرَّة نقرأ فيها وجود خلافات في المعتقدات بين أَئمَّة هذا الدين ، وهو لم يبيِّن لنا النِّقاط العقيدية التي يختلف فيها أَئمَّة المسلمين مع بعضهم البعض ، وإِن حدث ووجد خلاف في العقيدة ، فمعنى هذا أَنَّنا أَمام أَديان مختلفة لا يمكن جمعها تحت مظلَّة واحدة أَبدًا ، بينما إِذا كان المقصود هو الاجتهادات المتعددة في فقه السلوك وأَحكامه ، فإِنَّها تعطي المسلمين حرية الحركة بين هذه الاجتهادات ضمن

دائرة العقيدة الواحدة ، وكل منها مستند إلى مصدر تشريعي محدد ومعروف ومقنَّن ، فلا بأس من ذلك ولا ضير .

١٧ - يقول المؤلف في حكمه العاشر : إن هذه الاختلافات هي نتاج منهج جامع وبمقتضى طبيعته وما يستلزمه واقعه ، وإنَّ قواعد هذا المنهج لا تتكفل ولا بحدٍّ أدنى من توفير أي عامل من عوامل الاتفاق على أيَّة نقطة من نقاطه .

ونحن نقول : إنَّه بناء على حكم المؤلف نفسه ، فالأجدر بنا جميعًا التخلِّي عن هذا المنهج الجامع الذي يفرِّق ولا يجمِّع ، ويشتِّت المسلمين ولا يوحِّدهم ، والذي من طبيعته التفرقة والخلاف ، وما يستتبع ذلك من حزازات ونفور وبغضاء بين المسلمين الذين يُفترض أنَّ الإسلام جعلهم إخوة متحابين في الله ، متراحمين ومتعاونين مع بعضهم البعض .

١٨ - يختم المؤلف أحكامه بالحكم الحادي عشر بقوله : إنَّ خلاف أئمَّة الدين في المعتقدات ، واختلافهم في فقه السلوك وأحكامه ، واختلاف علماء اللغة - أيضًا - وكذلك وجود هذا المنهج الجامع الذي يفرِّق المسلمين ولا يجمِّعهم على شيء ، ولا يتكفَّل ولا بأي حد أدنى من الاتفاق على شيء - سببه أنَّ الله له في ذلك حِكَم باهرة ، لا يخفى إدراكها على اللبيب المنصف .

ونحن نسأل : هل يمكن لله - عزَّ وجلَّ - الرحيم بعباده ، واللطيف الخبير بهم ، والذي أرسل رسله واختتمهم بالنَّبيِّ العربي محمَّد ﷺ ، منزِّلًا على قلبه كلامه في القرآن الكريم، وموحيًا إليه بالسنَّة المطهرة ﴿ وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلَّا وحيٌ يوحى ﴾ - أن يدع تلامذة رسوله يختلفون كل هذا الخلاف في كل شيء ؟ وهل يمكن أنْ يكون ذلك من حكم الله الباهرة ؟

لا والله ، إنَّ الله لأرحم من أنْ يفعل ذلك ، وحِكَم الله الباهرة تقتضي أوَّلًا الفهم المحدد الواضح لحكمه ، ثمَّ إمكانية العمل بموجبها مع توفيق الله عباده لتعلمها والعمل بها ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم ﴾ صدق الله سُبحانَه .

١٩ - تغاضا المؤلف تمامًا عن الجزء الثالث من منهجه الجامع ، وهو الجزء الخاص بعرض حصيلة تلك المعاني والمقاصد - التي وقف عليها في جزأَيه الأَوَّلَين ، وتأَكَّد منها - على موازين المنطق والعقل ، ولم يشر نهائيًا إلى تفاصيل هذا العرض وأَهدافه ونتائجه الممكنة ، وما هو الحل إذا عارض العقل حكمًا ثبت نصه ، وتم شرحه وفهمه بمقاييس هذا المنهج الجامع ؟ هل يتم رفضه ، أَم إيقافه ، أَم إلغاؤه تمامًا ، أَم تسويغُه ؟

وهنا أَيضًا لا نستطيع مناقشة افتراضاتنا حول كلام المؤلف بانتظار أَن يشرح لنا مقصوده بعرض الدين على العقل لمناقشته فيه .

(للبحث صِلَةٌ)

قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه

أحمد شقيرات

نجائبُ النَّجاةِ مُهَيَّأَةٌ للمرادِ ، وأَقْدامُ المَطْرودِ موثوقةٌ بالقيودِ ، هبّتْ عواصفُ الأَقدارِ في بيداءِ الأَكوانِ ، فتقلّب الوُجودُ ، وَنَجَمَ الخيرُ ، فلمّا رَكَدَتِ الريحُ إِذا أَبو طالبٍ – عمُّ الرسولِ ﷺ – غريقٌ في لُجَّةِ الهلاكِ ، وسلمانُ على ساحلِ السلامةِ .. [1] .

وسَلْمانُ هذا هو سلمان الفارسيُّ ، سلمانُ الخيرِ ، ابنُ الإِسلامِ .

ولقد كانَ له – رضي الله عنه – قصةٌ عجيبةٌ غريبةٌ ، وقعتْ له عندَ إِسلامِه ، فيها الكثيرُ من العِبَرِ والعِظاتِ ، وقد جاءت هذه القصّةُ من طرقٍ عديدةٍ ، جَمَعَها وخرَّجها الحافظُ السخاويُّ (المتوفّى سنة ٩٠٢ هـ) في كتابِه « التحصيل والبيان في قصةِ السيّد سلمان » .

ولمّا كنتُ قد أَتْمَمْتُ – بحمد الله – تحقيقَ الكتابِ ، فقد أَحببتُ – مسارعةً للخيرِ – أَنْ أَضعَ بين يَدَي الإِخوةِ القُرّاءِ أَصحَّ روايةٍ لهذه القصّةِ :

عن عبداللهِ بن عبّاسٍ رضي اللهُ عنه – قال : حدَّثني سلمانُ حديثَه مِنْ فِيهِ ، قال :

« كنتُ رجلاً فارسيّاً من أَهلِ أَصْبَهان ، من قريةٍ منها يُقالُ لها : جَيّ ، وكانَ

---

(١) « الفوائد » (ص ٥١) للعلّامة الإِمام ابن قيّمِ الجوزيّة .

أَبي دِهْقَانَ [١] قريتِه ، وكنتُ أَحبَّ خَلْقِ اللهِ إِليه ، فلم يَزَلْ به حبُّه إِيّايَ حتّى حَبَسَني في بيتِه كما تُحبسُ الجاريةُ ، فاجتهدتُ في المجوسيّةِ حتّى كنتُ قاطِنَ [٢] النَّارِ ، أُوقدها لا أَتركها تَخْبُو ساعةً واحدةً ، وكانت لأَبي ضَيْعَةٌ عظيمةٌ ، فشُغِلَ يوماً ، فقال : يا بُنَيَّ ، قد شُغِلتُ هذا اليوم عن ضَيعتي ، فاذهبْ إِليها فطالِعْها ، فأَمَرَ فيها ببعضِ ما يُريدُ ، ثمَّ قالَ لي : لا تحتَبِسْ [٣] عليّ ، فإِنّك إِن احْتَبَسْتَ عليَّ كنتَ أَهمَّ إِليَّ من ضَيعتي ، وشغلْتني عن كلِّ شيءٍ من أَمري .

فخرجتُ أُريدُ ضَيعتي أَسيرُ إِليها ، فمررْتُ بكنيسةٍ من كنائسِ النصارى ، فسمعتُ أَصواتَهم فيها وهم يُصَلُّون ، وكنتُ لا أَدري ما أَمرُ الناسِ بحَبْسِ أَبي إِيّايَ في بيتِه ، فلمّا سمعتُ أَصواتَهم دخلتُ عليهم أَنظرُ ما يصنعون ، فلمَّا رأَيتُهم أَعجبني صلاتُهم ، ورغبْتُ في أَمرِهم ، وقلتُ : واللهِ هذا خيرٌ من الدّينِ الّذي نحنُ عليه ، فما بَرَحْتُ من عندِهم حتّى غربتِ الشمسُ ، وتركتُ ضَيعةَ أَبي ، ثمَّ قلتُ لهم : مَنْ أَبْصَرُ [٤] بهذا الدينِ ؟ قالوا : رجلٌ بالشام .

ثمَّ رجعتُ إِلى أَبي ، وقد بعثَ في طَلَبي ، وقد شغلتُه عن عملِه ، قال : أَيْ بُنَيّ ! أَينَ كنتَ ؟ أَلم أَعهد إِليك ما عهدتُ ؟ قلتُ : إِنّي مررتُ بناسٍ يُصلّون في كنيسةٍ لهم ، فدخلتُ عليهم ، فما زلتُ عندَهم - وهم يُصلّون - حتّى غَرَبتِ الشمسُ ، فقال أَبي : أَيْ بُنيّ ! ليس في ذلك الدينِ خيرٌ ، دينُك ودينُ آبائِك خيرٌ منه ، فخافني فجعلَ في رجليَّ قَيْداً ، ثمَّ حَبَسَني في بيتِه .

وبعثتُ إِلى النصارى فقلتُ : إِذا قَدِمَ ركْبٌ من الشامِ فأَخبروني ، فقدمَ عليهم

---

(١) رئيس .

(٢) خادمها وحارسها .

(٣) تتأخر .

(٤) أَعلم .

ركْبٌ من الشامِ تُجّارٌ من النصارى ، فأَخبروني بهم ، فقلتُ لهم : إِذا قَضَوْا حوائجَهم وأَرادوا الرَّجْعةَ إِلى بلادِهم فآذِنوني .

فلمّا أَرادوا الرَّجْعةَ إِلى بلادِهم أَخبروني بهم ، فألقيتُ الحديدَ من رجلي ، ثمَّ خرجتُ معهم حتّى قدمتُ الشامَ ، فلمّا قَدِمْتُها قلتُ : مَنْ أَفضلُ أَهلِ هذا الدينِ علماً ؟

قالوا : الأَسْقُفّ في الكنيسةِ ، فجئتُه فقلتُ : إِنّي قد رغبتُ في هذا الدين والعلمِ معك وأُصلّي معك .

قال : نعم ، فادخلْ ، فدخلتُ معه ، وكانَ رجلَ سوءٍ ، يأْمرُ بالصدقةِ ويُرغِّبُهم فيها ، فإِذا جمعوا له شيئاً منها اكْتَنزَه لنفسِه ، فلم يُعْطِ إِنساناً منها شيئاً ، حتّى جمع قِلالاً [١] من ذَهَبٍ ووَرِقٍ [٢] ، فأَبغضتُه بُغضاً شديداً لِما رأَيتُه يصنعُ .

ثمَّ ماتَ فاجتمعت إِليه النصارى ليدفنوه ، فقلتُ لهم : إِنَّ هذا كانَ رجلَ سوءٍ ، يأْمرُكم بالصدّقةِ ويُرغِّبُكم فيها ، فإِذا جئتموه بها اكْتَنزَها لنفسِه ، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئاً !!

قالوا : وما عِلْمُكَ بذلك ؟ قلتُ لهم : فأَنا أَدلُّكم على كنزِه ، قالوا : فدُلَّنا عليه ، فدلَلْتُهم عليه ، فاستخرجوه ذهباً ووَرِقاً ، فلمّا رأَوْها قالوا : واللهِ لا ندفنه أَبداً ، فصَلبوه ثمَّ رجَموه بالحجارةِ .

وكانَ ثَمَّ [٣] رجلٌ آخرُ ، فجعلوه مكانَه ، قال : يقول سلمانُ : فما رأَيتُ رجلاً يصلي الخمسَ أَفضلَ منه ، أَزهدَ في الدنيا ، ولا أَرغبَ في الآخرةِ ، ولا أَدْأَبَ ليلاً ونهاراً منه ؛ فأَحببْتُهُ حُبّاً لم أُحبّه شيئاً قطُّ ، فما زلتُ معه زماناً ، ثمَّ حضرتْه الوفاةُ ،

---

(١) جمع قلّة : الجرّة .

(٢) فضّة .

(٣) هناك .

فقلتُ له : يا فلانُ ، إنّي قد كنتُ معك ،فأَحببتُكَ حُبّاً لم أُحبّه شيئاً قطُّ ، وقد حضركَ ما ترى من أَمْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فإلى مَنْ تُوصي بي ؟ وما تأمرُني ؟

قال : أَي بُنيَّ ! واللهِ ما أَعلمُ أَحداً على ما كنتُ عليه ، لقد هَلَكَ الناسُ ، وبدَّلوا ، وتركوا كثيراً ممّا كانوا عليه ، إلّا رجلاً بالموصلِ ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالحقْ به ، فلمّا ماتَ وغُيِّب لحقْتُ بصاحبِ الموصلِ ، فقلتُ له : يا فلانُ ، إنَّ فلاناً أَوصاني عند موتِه أَنْ أَلحقَ بك ، وأَخبرني أَنّك على أَمْرِه ، قال : فأَقمْ عندي .

فأَقمتُ عندَه ، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أَمْرِ صاحبِه ، فلم أَلْبَث أَنْ ماتَ ، فلمّا حضرتُه الوفاةُ قلتُ له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أَوصاني إليك ، وقد أَمَرَني أَنْ أَلحقَ بك ، وقد حضَرَ من أَمْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ما ترى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : يا بُنيَّ ! ما أَعلمُ بقيَ أَحدٌ آمرُكَ أَنْ تأْتيَه إلّا رجلاً بعَمُّوريةِ ، بأَرضِ الرومِ ، على ما مثلِ ما نحنُ عليه .

فلمّا ماتَ وغُيِّبَ لَحِقْتُ بصاحبِ عَمّورية ، فأَخبرته خبرَي ، فقال : أَقم عندي .

فأَقمتُ عند خيرِ رجلٍ على هَدْي أَصحابِه وأَمرِهم ، واكتسبْتُ حتّى كان عندي بُقيراتٌ وغُنَيمةٌ ، ثمَّ نزلَ به أَمْرُ اللهِ عزَّ وجلّ ، فلما حُضِر قلتُ له : يا فلانُ ، إنّي كنتُ مع فلانٍ فأَوصَى بي إلى فلان ، ثمَّ أَوصى فلانٌ إلى فلانٍ ، ثمَّ أَوصى بي فلانٌ إليك ، فإلى من تُوصي بي ؟ وإلى مَنْ تأْمرُني ؟

قال : واللهِ ما أَعلمُ أَصبحَ على مثلِ ما نحنُ عليه أَحدٌ من الناسِ آمرُكَ أَنْ تأْتيَه ، ولكن قد أَظلَّكَ زمانُ نَبيٍّ هو مبعوثٌ بدينِ إبراهيم عليه السَّلامُ ، يخرجُ بأَرضِ العرب إلى أَرضٍ – أَظنّه قال – ذاتِ نَخْلٍ ، له علاماتٌ لا تَخْفَى : يأَكلُ الهديّةَ ولا يأكلُ الصدقةَ ، بين كَتفيه خاتمُ النبوّةِ ، فإنْ استطعتَ أَنْ تخلُصَ لتلكَ البلادِ فافعل ، ثمَّ

ماتَ وغُيّبَ .

فمكثْتُ بعمّورية ما شاءَ اللهُ أَنْ أَمكثَ ، ثمَّ مرَّ بي نَفَرٌ من كَلْبٍ [١] تُجّارٌ ، فقلتُ لهم : تحملوني إِلى أَرضِ العربِ وأُعطيكم بُقَيراتي وغُنيمتي هذه ؟ قالوا : نعم ، فأَعطيتُهم وحملوني معهم ، حتّى إِذا قدموا وادي القُرى [٢] ظلموني ، فباعوني من رجلٍ يهوديٍّ فكنتُ عنده ، فرأيتُ النخلَ ، فرجَوْتُ البلدَ الّذي وَصَفَ لي صاحبي ، ولم يَحِقَّ [٣] في نفسي .

فبينا أَنا عندَه ، قَدِمَ علينا ابنُ عمٍّ له من بني قُريظةَ ، فابتاعني منه ، فحملني إِلى المدينةِ ، فواللهِ ما هو إِلّا أَنْ رأيتها عرفتُها بِصِفَةِ صاحبي ، فأَقمتُ بها ، فبعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه ﷺ ، وأَقامَ بمكّة ما أَقامَ ، ما أَسمعُ له بِذِكْرٍ مع ما أَنا فيه من شُغل الرِّقّ .

ثمَّ هاجرَ إِلى المدينة .

فواللهِ إِنّي لَفي رأسِ عَذْقٍ [٤] لسيّدي أَعملُ فيه بعضَ العملِ ، وسيّدي جالسٌ تحتي ، إِذ أَقبلَ ابنُ عمٍّ له حتّى وقفَ عليه وقال : قاتلَ اللهُ بَني قَيْلَةَ [٥] ، واللهِ إِنّهم لمجتمعون على رجلٍ قدمَ عليهم من مكّةَ اليومَ ، يزعمونَ أَنّه نبيٌّ !

فلما سمعتُها أَخذني الفرحُ حتّى ظننتُ أَنّي سأَسقطُ على سيّدي ، ونزلتُ عن النخلةِ ، وجعلتُ أَقولُ لابنِ عمِّه ذلك : ماذا تقولُ ؟ ماذا تقول ؟

فغضِبَ سيّدي ، فلطَمَني لطمةً شديدةً ، ثمَّ قالَ : ما لَكَ ولهذا ؟ أَقْبِلْ على

---

(١) اسم قبيلة عربيّة .

(٢) منطقة شمال المدينة .

(٣) يثبت ويتأكد .

(٤) غِصْن .

(٥) أَي الأَوس والخزرج ، وقيلة اسمُ أُمّهم .

عملِك ، قلتُ : لا شيءٍ ، إنّما أَردتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عمّا قال .

وقد كانَ عندي شيءٌ قد جمعتُه ، فلمّا أَمسيتُ أَخذتُه ثمَّ ذهبتُ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو بقُباء ، فدخلتُ عليه فقلتُ : إِنّه قد بلغني أَنّك رجلٌ صالحٌ ، ومعك أَصحابٌ غرباءُ ذَوُو حاجةٍ ، وهذا شيءٌ كانَ عندي صدَقة ، فرأيتُكم أَحقَّ به من غيرِكم ، وقرَّبته إِليه ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأَصحابِه : كُلوا ، وأَمسكَ هو فلم يأكل منه ، فقلتُ في نفسي : هذه واحدةٌ .

ثمَّ انصرفتُ عنه ، فجمعتُ شيئاً ، فتحوَّلَ رسولُ اللهِ ﷺ إِلى المدينةِ ، ثمَّ جئتُه به فقلتُ له : رأيتُك لا تأكلُ الصدقةَ ، وهذه هديّةٌ أكرمتُك بها ، فأَكل رسولُ اللهِ ﷺ منها ، وأَمرَ أَصحابَه فأَكلوا ، فقلتُ في نفسي : هاتانِ ثِنْتانِ .

ثمَّ جئتُ رسولَ اللهِ ﷺ ببَقيعِ الغَرْقَدِ وقد اتّبَعَ جنازةَ رجلٍ من الأَنصارِ ، وهو جالسٌ ، فسلَّمتُ عليه ، ثمَّ استدرْتُ أَنْظُرُ إِلى ظهرِه ، هل أَرى الخاتمَ الذي وصفَ لي صاحبي ؟ فلمّا رآني رسولُ اللهِ ﷺ استدرْتُ عرفَ أَنّي أَسْتَثْبِتُ في شيءٍ وُصِفَ لي ، فألقى رادءَه عن ظهرِه ، فنظرتُ إِلى الخاتم فعرفتُه ، فأَكْبَبتُ عليه أُقبِّلُه وأَبكي ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ : تحوَّل ، فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه - فقصصْتُ عليه حديثي كما حدثْتُكَ يا ابنَ عبّاس - فأَعْجَبَ رسولَ اللهِ ﷺ أَن يسمعَ ذلك أَصحابُه .

ثمَّ شَغل سلمانَ الرِّقُّ حتّى فاته مع رسولِ اللهِ ﷺ بَدْراً وأُحداً ، ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كاتبْ يا سلمانُ » فكاتبتُ صاحبي على ثلاثِ مئةِ نخلةٍ أُحْييها له ، وبأربعين أُوْقيةً ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأَصحابِه : « أَعينوا أَخاكُم » ، فأَعانوني في النخل ، الرَّجلُ بثلاثين ، والرَّجلُ بعشرين ، والرَّجلُ بخمسَ عشرةَ ، والرَّجلُ بعشرٍ ، والرَّجلُ بقدرِ ما عندَه ، حتّى اجتمعت لي ثلاثُ مئةِ نخلةٍ ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ : « اذهب يا سلمانُ فأَرِني حتّى أَكونَ أَنا أَضعها بيدي » ، ففقَّرْتُ [1] لها ،

(١) حفرت .

وأَعانني أَصحابي ، حتّى إِذا فرغتُ جئتُه فأَخبرتُه .

فخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ معي إِليها ، فجعلتُ أُقرِّبُ له الوَدِيَّ [١] ويضعُه رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه حتّى فرغنا ، فوالذي نفسُ سلمانَ بيدِه ما ماتَ منه وَدِيَّةٌ واحدةٌ .

فأَدَّيْتُ النخلَ وبقي عليَّ المالُ ، فأُتيَ رسولُ اللهِ ﷺ بمثلِ بيضةِ الدجاجةِ من ذهبٍ من بعضِ المغازي ، فقال : « ما فعلَ الفارسيُّ المُكاتِبُ » ؟ فدُعيتُ له ، فقال : « خذ هذه فأَدِّها بما عليك » ، فقلتُ : وأَين تقعُ هذه يا رسولَ اللهِ ممّا عليّ ؟ فقال : « خذها ؛ فإِنَّ الله عزَّ وجلَّ سيُؤَدّيها عنك ، فوزنتُ له منها - والذي نفسُ سلمان بيده - أَربعين أُوقيّة ، وأَوْفيتُهم حقَّهم ، وعتقَ سلمانُ ، وشهدَ مع رسولِ اللهِ ﷺ الخندقَ ، ثمَّ لم يَفُتْه مَشْهَدٌ .

... هذا آخِرُ القصّة ، وقد أَخرجها أَحمدُ ، والعدني في « مسنده » وابنُ سعد ، والطبرانيُّ في « الكبير » وأَبو نُعيم في « الدلائل » و « تاريخ أَصبهان » ، والبيهقيّ في « الدّلائل » ، والخطيبُ في « تاريخه » ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » ، وابنُ الأَثير في « أُسْد الغابة » ، والذهبيُّ في « السِّيَر » ، والضياءُ في « المختارةِ » ، والسخاويُّ في « التحصيل والبيان » من طرق عن ابن إِسحاقَ عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس به .

وقد علّقَ البخاريُّ بعضَها بصيغةِ الجزمِ ،وساقَ بعضَها مسنداً .

قال السخاويُّ عقبَه : « وهذه الطريقُ من أَصحِّ طرقِ هذا الحديث ، وأَقواها إِسناداً وأَحسنِها اقتصاصاً » .

ونحوُه قولُ شيخِه الحافظِ ابن حجر في « الإِصابةِ » .

---

(١) صغار النخل .

وأَخيراً : نُرَدِّدُ مع العلّامةِ الإمامِ ابن القيِّم - رحمه الله - قولَه [١] :

أَبو طالبٍ إِذا سُئلَ عن اسمِه ؟ قال : عبد مناف ! وإِذا انتسبَ افتخرَ بالآباءِ ! وإِذا ذُكرت الأَموالُ عَدَّ الإِبلَ !

وسلمان إِذا سئلَ عن اسمِه ؟ قال : عبدالله ، وعن نسبه ؟ قال : ابن الإِسلام ، وعن مالِه ؟ قال : الفقرُ ، وعن حانوتِه ؟ قال : المسجد ، وعن كَسْبِه ؟ قال : الصبر ، وعن لباسِه ؟ قال : التقوى والتواضعُ ، وعن وسادِه ؟ قال : السهر ، وعن فخرِه ؟ قال : « سلمانُ مِنّا [٢] » ، وعن قصدِه ؟ قال : ﴿ يريدونَ وَجْهَه ﴾ ، وعن سَيْرِه ؟ قال : إِلى الجنّة ، وعن دليلِه في الطريق ؟ قال :إِمام الخَلْقِ وهادي الأُمّة » .

إِذا نحنُ أَدْلَجْنا وأَنتَ إِمامُنا ... كفى بالمطايا طيبُ ذِكْراك حادِيا

وإِنْ نحْنُ أَضْلَلْنا الطريقَ ولم نجد ... دليلاً كَفَانا نُورُ وجهِكَ هاديا

---

(١) « الفوائد » (ص ٥٤) .

(٢) إِشارة إِلى ما صحَّ عن عليٍّ رضي اللهُ عنه أَنّه قال : « سَلْمان منّا أَهلَ البيتِ » ، رواه الفَسَويُّ في « المعرفة والتاريخ » (٢ / ٥٤٠) والطبرانيّ في « الكبير » (٦٠٤١) والخطيب البغداديّ في « موضح أَوهام الجمع والتفريق » (٢ / ٢٦٢) .

مسائل ... وأجوبتها

العلَّامة المحدِّث محمَّد ناصرالدين الألباني

السُّؤال : ما الحكم الشرعي في صلاة الجماعة الثانية في المسجد ؟

الجواب : اختلف الفقهاء في حُكْمِ صلاة الجماعة الثانية ، ولكن قبل ذكر الخلاف ، وبيان الراجح من المرجوح لابد من تحديد الجماعة التي اختلفوا فيها .

موضوع الخلاف هو في جماعةٍ تقام في مسجدٍ له إمام راتب ومؤذِّن راتب ، أَمَّا الجماعات التي تقام في أَي مكان : في دار ، أَو مسجدِ طريقٍ ، أَو دكَّان فلا مانع من تكرار الجماعة في هذه المواطن .

ويأْخذ العلماء الذين يقولون بكراهة تعدد الجماعة في مثل هذا المسجد - الذي له إمام راتب ومؤذِّن راتب - هذا الحكمَ من استدلالين اثنين : أَحدهما نقليٌّ من الشارع ، والآخر نظريٌّ وهو تأمل الرواية ، والحكمة من مشروعية صلاة الجماعة .

أَمّا النقل : فقد نظروا فوجدوا أَنَّ النَّبي ﷺ ظلَّ طيلة حياته يصلِّي بالنَّاس جماعةً في مسجده ، ومع ذلك فكان الفرد من أَصحابه إِذا حضر المسجد وقد فاتته الجماعة صلَّى وحده ولم ينتظر ، ولم يلتفت يمينًا ويسارًا - كما يفعل النَّاس اليوم يطلبون شخصًا أَو أَكثر ليصلي أَحدهم بهم إِمامًا .

ولم يكن السَّلف يفعلون شيئًا من هذا ؛ فإِذا دخل أَحدُهم المسجد ووجد النَّاس قد صلَّوا صلَّى وحده ، وهذا ما صرَّح به الإِمام الشافعي في كتابه « الأُم » - وكلامه في الواقع من أَجمع ما رأَيت من كلام الأَئِمَّة في هذه المسأَلة - حيث قال : « وإِذا دخل جماعةٌ المسجد ، فوجدوا الإِمام قد صلَّى صلَّوا فرادى ، فإِنْ صلَّوا جماعةً

أَجزأْتهم صلاتهم ، ولكنِّي أَكره لهم ذلك ؛ لأَنَّه لم يكن من أَحوال السَّلف » .

ثمَّ قال : « وأَمَّا مسجدٌ في قارعة الطريق - ليس له إِمام راتب ومؤذِّن راتب - فلا بأْس من تعدد الجماعة فيه » .

ثمَّ قال : « وإِنَّا قد حفظنا أَنَّ جماعة من أَصحاب النَّبي ﷺ فاتتهم صلاة مع الجماعة ، فصلَّوا فرادى مع أَنَّهم كانوا قادرين على أَن يجمعوا فيه مرة أُخرى ، لكنهم لم يفعلوا ؛ لأَنَّهم كرهوا أَن يجمعوا في مسجدٍ مرَّتين » .

هذا كلام الإِمام الشافعي ، وما ذكره من أَنَّ الصَّحابة كانوا يصلُّون فرادى إِذا فاتتهم صلاة الجماعة - ذكره معلقًا بصيغة الجزم لهذا المعلَّق ، ووصله الحافظ أَبو بكر ابن أَبي شيبة في كتابه المشهور « المصنَّف » رواه بإِسناد قوي عن الحسن البصري أَنَّ الصحابة كانوا إِذا فاتتهم الصَّلاة مع الجماعة صلَّوا فرادى .

وذكر هذا المعنى ابن القاسم في « مدونة الإِمام مالك » عن جماعة من السَّلف ، كنافع مولى ابن عمر ، وسالم بن عبدالله ، وغيرهما أَنَّهم كانوا إِذا فاتتهم الصَّلاة صَلَّوا فرادى ولم يعيدوها جماعة مرة أُخرى .

وأَيضًا روى الإِمام الطَّبراني في « معجمه الكبير » بإِسناد جيد عن ابن مسعود أَنَّه خرج مع صاحبين له من بيته إِلى المسجد لصلاة الجماعة ، وإِذا به يرى النَّاس يخرجون من المسجد وقد انتهوا منها ، فعاد وصلَّى بهما إِمامًا في بيته ؛ فرجوع ابن مسعود - وهو من هو في صحبته للرَّسول ﷺ وفي معرفته وفقهه للإِسلام - لو كان يعلم مشروعيةَ تعدُّدِ الجماعات في المسجد الواحد لدخل بصاحبيه وصلَّى بهما جماعة ؛ لأَنَّه يعلم قول الرَّسول ﷺ : « أَفضل صلاة المرء في بيته إِلَّا المكتوبة » . فما الذي منع ابن مسعود أَنْ يصلِّي هذه المكتوبة في المسجد ؟ عِلْمُهُ أَنَّه إِنْ صلَّاها في المسجد فسيصلِّيها وحده ، فرأَى أَن يجمع بهما في بيته أَفضل من أَنْ يصلي هو ومن معه ، كلٌّ على انفراد في المسجد .

فهذه المجموعة من النقول تؤيد وجهة نظر الجمهور الذين كرهوا تعدد الجماعة في المسجد الموصوف بالصيغة السَّابقة .

ثمَّ لا يعدم الإِنسان أَن يجد أَدلَّة أُخرى مع شيء من الاستنباط والنظر الدقيق فيها ، فقد روى الإِمامان البخاري ومسلم من حديث أَبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لقد هممت أَن آمر رجلًا فيصلي بالنَّاس ، ثمّ آمر رجالًا فيحْتطِبوا حطبًا ، ثمَّ أُخالف إِلى أُناسٍ يَدَعون الصَّلاة مع الجماعة فأُحرِّق عليهم بيوتهم ، والذي نفس محمَّد بيده ، لو يعلم أَحدهم أَنَّه يجد في المسجد مرماتين حسنتين لشهدهما » ؛ ففي هذا الحديث تهديد الرَّسول ﷺ المتخلِّفين عن حضور صلاة الجماعة في المسجد بالتحريق بالنَّار ، فأَنا أَرى أَنَّ هذا الحديث وحده يُشعرنا بالحكم السابق ، أَو يشعرنا بما ذكر الإِمام الشافعي ووصله ابن أَبي شيبة ؛ وهو أَنَّ الصحابة لم يكونوا يكررون الصَّلاة جماعةً في المسجد ، ذلك لأَنَّنا إِنْ سوَّغنا أَنَّ الجماعة الثانية والثالثة كانت مشروعة في المسجد ، ثمَّ جاء هذا الوعيد الشديد من رسول ﷺ للمتخلفين عن صلاة الجماعة ، فأَي جماعة هذه التي هم يتخلَّفون عنها ، ويترتب على تخلُّفهم عنها هذا الوعيد الشديد ؟

فإِنْ قيل : هي الجماعة الأُولى .

قيل : إِذن هذه الجماعة الأُخرى غير مشروعة ، وإِنْ قيل : إِنَّ هذا الوعيد إِنَّما يشمل المتخلف عن كل جماعة مهما كان رقمها التسلسلي ؛ حينئذٍ لم تقم الحجة من رسول اللَّه ﷺ مطلقًا على أَي متخلف عن أَي جماعة ؛ لأَنَّه لو فاجأَ بعض المتخلفين حينما أَناب عنه ، فجاء إِلى بيوتهم فوجدهم يلهون مع نسائهم وأَولادهم فأَنكر عليهم : لماذا لا تذهبون للصَّلاة مع الجماعة ؟ فيقولون : نصلي مع الجماعة الثانية أَو الثالثة ، فهل تقوم حجَّة للرسول ﷺ عليهم ؟ لذلك فإِن همَّ الرَّسول ﷺ بإِنابة شخص يقوم مقامه ، وأَنْ يفاجئ المتخلفين عن صلاة الجماعة فيحرق عليهم بيوتهم – لأَكبر دليل على أَنَّه لم يكن هناك جماعةٌ ثانيةٌ إِطلاقًا . هذا بالنِّسبة إِلى النقول التي

اعتمد عليها العلماء .

أَمَّا النَّظر ؛ فهو على الوجه الآتي : صلاة الجماعة قد جاء في فضلها أَحاديث كثيرة منها الحديث المشهور « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بخمس وعشرين - وفي رواية : بسبع وعشرين - درجة » فهذه الفضيلة إِنَّما جاءت لصلاة الجماعة .

وجاء في بعض الأَحاديث : « أَنَّ صلاة الرجل مع الرجل أَزكى عند اللَّه من صلاته وحده ، وصلاة الرجل مع الرجلين أَزكى عنداللَّه من صلاته مع الرَّجل » ، وهكذا كلما كثرت الجماعة وأَفرادها ، تضاعف أَجرها عند ربِّها .

فإِذا تذكرنا هذا المعنى ثمَّ نظرنا عاقبة القول بجواز تكرار الجماعة في المسجد الذي له إِمام راتب فإِنَّ هذه العاقبة أَسوأُ عاقبة بالنسبة لمثل هذا الحكم الإِسلامي أَلا وهو صلاة الجماعة ؛ ذلك لأَنَّ القول بتكرار الجماعة سيؤدِّي إِلى تقليل عدد الجماعة الأُولى ، وهذا ينقض الحثَّ الذي يفيده حديث : « صلاة الرجل مع الرجل أَزكى من صلاته وحده ... » ؛ لأَنَّ هذا الحديث يحض على تكثير الجماعة ، والقول بتكرار الجماعة في المسجد يؤدِّي - بالضرورة - إِلى تقليل عدد أَفراد الجماعة الشرعية الأُولى ، وتفريق وحدة المسلمين .

وشيء آخر يقتضيه النَّظر السَّليم وهو أَنْ نتذكر أَنَّ حديث ابن مسعود في « صحيح مسلم » نحو حديث أَبي هريرة : « لقد هممت أَن آمر رجلًا فيصلي بالنَّاس ... إِلى آخره » ، جاء هذا الحديث في حقِّ المتخلفين عن صلاة الجمعة ، فإِذا علمْنا أَنَّ ابن مسعود صبَّ وعيدًا من نوع واحد على كلِّ ممن يتخلَّف عن صلاة الجمعة ، وعن صلاة الجماعة ، حينئذٍ نعرف أَنَّ هاتين الصَّلاتين من حيث التصاقُهما بصلاة الجماعة فإِنَّ هذا الوعيد يعني أَن لا جماعة ثانية بعد كلٍّ من الصَّلاتين ؛ فصلاة الجمعة - حتى الآن - حافَظَ على وحدتها وعلى عدم القول بمشروعية تعددها في المسجد الواحد جميعُ العُلماء على اختلاف مذاهبهم ، لذلك تجد المساجد غاصَّة بالمصلين يوم الجمعة ، وإِنْ كان لا يفوتنا أَن نتذكر أَنَّ من أَسباب امتلاء المساجد يوم

الجمعة هو أَنَّ هناك من يحضر الجمعة ولا يحضر الصلوات الأُخرى ، ولكن مما لا شك فيه أَن امتلاء المساجد يوم الجمعة بالمصلين سببه أَنَّ المسلمين لم يتعوَّدوا - والحمد للَّه - أَنْ يكرروا صلاة الجمعة في المسجد الواحد ، فلو أَنَّ المسلمين عاملوا صلاة الجماعة كما عاملوا صلاة الجمعة وكما كان الأَمر عليه في عهد الرسول ﷺ ، لكادت المساجد أَنْ تمتلئ بالمصلين ؛ لأَنَّ كلَّ حريص على الجماعة سيكون قائمًا في ذهنه أَنَّه إِنْ فاتته الصَّلاة الأُولى ، فلا يمكن له أَنْ يتداركها فيما بعد ، فيكون هذا الاعتقاد حافزًا له على الحرص الشَّديد على صلاة الجماعة ، والعكس بالعكس تمامًا ، إِذا قام في نفس المسلم أَنَّه إِنْ فاتته هذه الجماعة الأُولى فيوجد جماعة ثانية وثالثة ... وعاشرة أَحيانًا ، فهذا مما سيُضعف همَّته وحرصه عن الحضور للجماعة الأُولى .

بقي لدينا أَمران اثنان :

الأَوَّل - أَنْ نبيِّن أَنَّ الذين ذهبوا إِلى عدم مشروعية الجماعة الثانية على التفصيل السَّابق ، وكراهة فعلها هم جمهور الأَئمَّة من السَّلف ، وفيهم الأَئمَّة الثلاثة : أَبو حنيفة ومالك والشافعي ، والإِمام أَحمد معهم في رواية ، لكن هذه الرواية غير مشهورة عند أَتباعه اليوم ، وإِنْ كان ذكرها أَخصُّ تلامذته وهو أَبو داود السجستاني ؛ فقد روى عنه في كتاب « مسائل الإِمام أَحمد » أَنَّه قال : « إِنَّ تكرار الجماعة في المسجدين الحرمين أَشد كراهة » ، فهذا - من باب التفضيل - يشعرنا بأَنَّ الكراهة في المساجد الأُخرى موجودة بتكرار الجماعة ، ولكنها أَشد في المسجدين ، وهو في هذه الرواية يلتقي مع الأَئمَّة الثلاثة .

الثَّاني - أَنَّ الرواية الأُخرى عن الإِمام أَحمد والمشهورة عن أَتباعه فعمدته فيها هو ومن تابعه من المفسرين حديثٌ يرويه الترمذي والإِمام أَحمد وغيرهما من حديث أَبي سعيد الخدري ، أَنَّ رجلًا دخل المسجد والرَّسول ﷺ قد صلَّى وحوله أَصحابه ، فأَراد هذا الرجل أَنْ يصلِّي ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام : « أَلا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » ، فقام رجل فصلى معه ، وفي رواية لأَبي بكر البيهقي في « سننه

الكبرى » أَنَّ هذا الرَّجل هو أَبو بكر الصدِّيق ، لكن هذه الرواية في إِسنادها ضعف ، والرواية الصحيحة لم يُسَمَّ فيها الرجل ، فقد احتجّوا بهذا الحديث وقالوا : إِنَّ الرَّسول ﷺ أَقرَّ الجماعة الثانية !

والجواب على هذا الاستدلال هو أَنْ نلاحظ أَنَّ الجماعة التي تضمّنها الحديث هي غير الجماعة التي يجري حولها السؤال ، فإِنَّ الجماعة التي تضمنها الحديث هي جماعة إِنسان دخل المسجد بعد الجماعة الأُولى ، ويريد أَنْ يصلي وحده ، فحضَّ الرَّسولُ ﷺ أَصحابَه الذين كانوا قد صلَّوا معه أَن يقوم أَحدهم فيتطوع ويصلي نافلة ، ففعل ، وكذلك وقع ؛ فهذه الجماعة مؤلفة من شخصين : إِمام ومأْموم ، الإِمام مفترض والمأْموم متنفل ، فمن هو الذي عقد هذه الجماعة ؟ لولا المتنفل ما كان هناك جماعة ، إِذن هذه جماعة تطوع وتنفل ، وليست جماعة فريضة ، والخلاف إِنَّما يدور حول جماعة فريضة ثانية ، ولهذا فإِنَّ الاستدلال بحديث أَبي سعيد على موضع النزاع غير صحيح ، والذي يؤكد هذا أَنَّ الحديث يقول : « أَلا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » ، وهذه الحادثة – التي وقعت – فيها متصدِّق ، وفيها متصدَّق عليه ، فلو سأَلنا أَقَلَّ النَّاس فهمًا وعلمًا : مَن المتصدِّق ؟ ومَن المتصدَّق عليه في هذه الحالة التي أَقرَّها الرَّسول ﷺ ؟ سيكون الجواب : المتصدِّق هو المتنفل الذي صلى الفريضة وراء رسول اللَّه ﷺ ، والمتصدَّق عليه هو الذي جاء متأَخِّرًا .

السؤال نفسه إِذا طرحناه في الجماعة التي هي موضع النِّزاع : دخل ستَّة أَو سبعة المسجد ، فوجدوا الإِمام قد صلَّى فأَمَّهم أَحدهم وصلَّى بهم جماعة ثانية ، فمَنْ هو المتصدِّق من هؤلاء ، ومن هو المتصدَّق عليه ؟ لا أَحد يستطيع أَن يقول كما استطاع أَنْ يقول في الصورة الأُولى ، فهذه الجماعة التي دخلت بعد صلاة الإِمام كلُّهم يصلِّي فرض الوقت ، ليس هناك متصدِّق ولا متصَدَّق عليه ، وسرُّ هذا واضح في الصورة الأُولى : المتصدِّق هو الرَّجل المتنفل الذي صلَّى وراء الرَّسول ﷺ وكتبت صلاته بسبع وعشرين درجة ، فهو إِذن غني وبإِمكانه أَن يتصدَّق على غيره ، والَّذي

صلَّى إِمامًا - ولولا ذلك المتصدِّق عليه لصلَّى وحيدًا - فقيرٌ ، وهو بحاجةٍ إِلى من يتصدَّق عليه ؛ لأَنه لم يكتسب ما اكتسب المتصدِّق عليه .

وواضح سبب كون هذا متصدِّقًا وهذا متصدَّقًا عليه ، أَمَّا في صورة النزاع فالصورة غير واضحة ؛ لأَنَّهم كلهم فقراء ، كلهم فاتتهم فضيلة الجماعة الأُولى فلا ينطبق قول الرسول ﷺ : « أَلا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه » ، فعلى مثل هذه الحالةِ لا يصحُّ الاستدلال بهذه الحادثة ، ولا على هذه المسألة التي هي موضع البحث .

ونَضمُّ جهة أُخرى من استدلالهم هي قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة » ، فاستدلوا بإِطلاقٍ ؛ أَي أَنَّهم فهموا أَنَّ (أَل) في كلمة الجماعة للشمول ؛ أَي أَنَّ كل صلاة جماعة في المسجد تفضل صلاة الفذِّ ، ونحن نقول بناءً على الأَدلَّة السَّابقة : إِنَّ (أَل) هذه ليست للشمول ، وإِنَّما هي للعهد ؛ أَي أَنَّ صلاة الجماعة التي شرعها الرَّسول ﷺ ، وحض النَّاس عليها ، وأَمر النَّاس بها ، وهدَّد المتخلفين عنها بحرق بيوتهم ، ووصف مَنْ تخلَّف عنها بأَنَّه من المنافقين - هي صلاة الجماعة التي تَفْضُل صلاة الفذِّ ، وهي الجماعة الأُولى .

والله تعالى أَعلم .

السُّنَّة النَّبويَّة بين أَتباعها وأَعدائها

سليم بن عيد الهلالي

هذه نبذٌ علمية أَضعها بين يدي محبِّي السنَّة النَّبويَّة رعايةً لحقِّها على أَتباعها ، ودحضًا لزيف شبهات أَعدائها ، ومدار هذه النُّبذ على حديث عظيم أَسوقه محرَّرًا بأَلفاظه ، موثَّقًا برواياته ، وأَذكر شواهده بالتفصيل ، ثمَّ أَكرُّ عليه بالتحليل والتأصيل ، سائلًا المولى التوفيق :

قال ﷺ :

« أَلا إِنِّي أُوتيت الكتاب [القرآن] ومثله معه ، أَلا يوشك رجل [ينثني] شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ؛ فما وجدتم فيه من حلالٍ فأَحلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه ، أَلا لا يحلُّ لكم الحمار الأَهلي ، ولا كل ذي ناب من السِّباع ، ولا لقطة معاهد إِلَّا أَنْ يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أَن يَقروه ؛ فإِن لم يَقروه فله أَنْ يعقبهم بمثل قِراه » .

توثيق الحديث :

صحيح – أَخرجه أَبو داود (٤٦٠٤) ، وأَحمد (٤ / ١٣٠ – ١٣١) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (١ / ١٤٩ – ١٥٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوَّة » (٦ / ٥٤٩) ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٩) ، و « الكفاية » (ص ٨) ، وابن نصر المروزي في « السنَّة » (ص ١١٦) ، والآجري في « الشريعة » (ص ٥١) ، والحازمي في « الاعتبار » (ص ٧) كلهم من طريق حَريز بن عثمان

الرَّحَبي ، عن عبدالله بن أَبي عوف الجُرَشي ، عن المِقدام بن مَعْدِي كَرِب الكِندي رضي الله عنه يرفعه .

قلت : حَريز بن عثمان الرَّحَبي ثقة ثبت ، لكنه رمي بالنصب كما في « ميزان الاعتدال » (١ / ٤٧٥) ، و « التقريب » (١ / ١٥٩) .

وهذا لا يضره - إِنْ شاء الله - كما هو مقرَّر عند ذوي المعرفةِ بهذا الفن اللطيف ، والعلم المنيف الشريف ، وقد وضَّحه الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (١ / ٥ - ٦) في ترجمة أَبان بن تغلب الكوفي .

وهذا القول من باب التنزُّل ؛ لأَنَّ هذا الاتهام ليس له قوائم صدق ، فهو غير ثابت ، كما وضَّحه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨ / ٢٦٦) قائلًا : « وكان ثقةً ثبتًا ، وحكي عنه مِنْ سوء المذهب ، وفساد الاعتقاد **ما لم يثبت عليه** » .

وقال أَبو حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٣ / ٢٨٩) : « حَريز بن عثمان حسن الحديث ، **ولم يصحَّ عندي** ما يقال في رأيه ، ولا أَعلم بالشام أَثبت منه ، ... وهو ثقة متقن » .

وقال مؤرخ الإِسلام الحُفَظَة الذهبي في « سير أَعلام النُّبلاء » (٧ / ٨١) بعد أَن نقل الأَقوال التي تحكي عن حريز بن عثمان سوء المذهب : « **هذا الشيخ كان أَورع من ذلك** ، وقد قال معاذ بن معاذ : لا أَعلم أَني رأَيت شاميًّا أَفضل من حريز » .

وبهذا تبيَّن تبيُّنَ الصبح لذي عينين أَنَّ حريز بن عثمان الرَّحبي بريء مما نَسَبَ إِليه شانئوه .

وحسبك أَنَّه تبرأَ مما قيل فيه ، كما في « تهذيب تاريخ دمشق » (٤ / ١١٨) : « قال علي بن عيَّاش : سمعت حريزًا يقول لرجل : **ويحك** ؛ **أَمَّا خفت الله عزَّ وجلَّ ، حكيت عنِّي أَنِّي أَسبُّ عليًّا** ، والله ما أَسبُّه وما سببته قطُّ . وقال له رجل : بلغني أَنَّك لا تترحَّم على عليٍّ ، فقال للقائل : اسكت ؛ رحمه الله مائة مرَّة » .

وبذلك تعلم أَنَّ احتمال ابن حجر في « هدي السَّاري » (ص ٣٩٦) بأَنَّه كان ناصبيًّا ثمَّ ترك - لا يستقيم أَمره ، وكذلك قول ابن حبَّان في « المجروحين » (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩) : « وكان داعيةً إِلى مذهبه » .

ورحم اللَّه أَبا جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري القائل :

« لو كان كلُّ من ادُّعِيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ، ثبت عليه ما ادُّعِيَ به ، وسقطت عدالتُه ، وبطلت شهادته بذلك - للزم ترك أَكثر محدِّثي الأَمصار ؛ لأَنَّه ما منهم أَحدٌ إِلَّا وقد نسبه قوم إِلى ما يُرغب به عنه »[1].

ومَنْ فوقه ثقة ، يقال : إِنَّه أَدرك النَّبي ﷺ ، كما في « التقريب » (١ / ٤٩٤) .

والزيادة الأُولى ثابتة صحيحة تتابع عليها ثلاثة ثقات أَثبات :

١ - يزيد بن هارون ، عند أَحمد (٤ / ١٣٠ - ١٣١) .

٢ - أَبو اليمان - وهو الحكم بن نافع البَهْراني الحمصي - مقرونًا مع علي بن عيَّاش الألهاني ، عند الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ٨) و « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٩) .

والزيادة الثانية عند أَحمد (٤ / ١٣٠ - ١٣١) .

* وقد تابع حريزًا مروانُ بن رؤبة التَّغلبي عن عبدالرحمن بن أَبي عوف الجُرَشي عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب رضي اللَّه عنه أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « إِنِّي قد أُوتيت الكتاب وما يعدله ، يوشك رجل شبعان على أَريكته يقول : بيننا وبينكم الكتاب ، فما كان فيه من حلالٍ أَحللناه ، وما كان فيه من حرامٍ حرمناه ، أَلا وإِنَّه ليس كذلك ؛ أَلا لا يحلُّ أَكل كلِّ ذي ناب من السِّباع ، ولا الحمار الأَهلي ، ولا اللُّقَطة من مال معاهدٍ إِلَّا أَنْ يستغني عنها ، وأَيما رجل ضاف قومًا فلم يَقروه ، فإِنَّ له أَنْ يعقبهم بمثل قِراه » .

---

(١) « هدي الساري مقدمة فتح الباري » لابن حجر : (ص ٤٢٨) .

أَخرجه الدارقطني (٤ / ٢٨٧) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٩) ، وابن نصر في « السنَّة » (ص ١١٦) ، وأَبو داود (٣٨٠٤) - شطره الأَخير - ، وابن حبَّان في « صحيحه » (١ / ١٧٣) و (٩٧ - موارد) - شطره الأَوَّل - .

قلت : مروان بن رؤبة التغلبي (مقبول) كما في « التقريب » (٢ / ٢٣٩) ، أَي عند المتابعة - وقد توبع .

* وللحديث طريق آخر ، أَخرجه الترمذي (٢٦٦٤) وحسَّنه ، وابن ماجه (١ / ٦) ، وأَحمد (٤ / ١٣٢) ، والدارقطني (٤ / ٢٨٦) ، والدارمي (١ / ١٤٤) ، والبيهقي (٧ / ٧٦) ، والحاكم وصححه ووافقه الذَّهبي ، والخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٨) و « الكفاية » (ص ٨ - ٩) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ١٩٠) ، والحازمي في « الاعتبار » (ص ٢٥) ، والسمعاني في « أَدب الإِملاء والاستملاء » (ص ٣) عن معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب رضي اللَّه عنه يقول :

[حرَّم رسولُ اللَّه ﷺ يوم خيبر أَشياء] [منها الحمار الأَهلي وغيره] ثمَّ قال : « يوشك الرجل متكئًا على أَريكته ، يُحَدَّثُ بحديثٍ من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ؛ فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمناه ، أَلَا وإِنَّ ما حرَّم رسول اللَّه ﷺ مثل ما حرَّم اللَّه » .

قلت : الحسن بن جابر اللخمي الكِندي « مقبول » كما في « التقريب » (١ / ١٦٤) ، يعني عند المتابعة .

والزِّيادة الأُولى عند أَحمد ، والدارمي ، والبيهقي ، والخطيب البغدادي ، والدارقطني ، والحازمي .

والزيادة الثانية عند البيهقي ، والخطيب البغدادي .

* وللحديث شواهد كثيرة عن جماعة من الصحابة رضي اللَّه عنهم ، وإِنْ

كان بعضها مما لا يُفرح به ، لكن أَذكرها للمعرفة :

الأَوَّل – عن العرباض بن سارية السُّلمي رضي اللَّه عنه قال : نزلنا مع النَّبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أَصحابه ، وكان صاحب خيبر رجلًا ماردًا منكرًا (وفي رواية : ومكر صاحب خيبر مكرًا ماردًا) ، فأَقبل إِلى النَّبي ﷺ فقال : يا محمَّد ، أَلكم أَن تذبحوا حُمُرَنا ، وتأكلوا ثمرنا (وفي رواية : بقرنا) وتضربوا نساءنا [وتدخلوا بيوتنا] ؟ فغضب النَّبي ﷺ وقال : « يا ابن عوف ، اركب فرسك ثمَّ ناد : أَلا إِنَّ الجنَّة لا تحلُّ إِلَّا لمؤمن ، وأَنِ اجتمِعوا للصَّلاة » قال : فاجتمعوا ، ثمَّ صلَّى بهم النَّبي ﷺ ثم قال : « أَيحسب أَحدكم متكئًا على أَريكته قد يظن أَنَّ اللَّه لم يحرِّم شيئًا إِلَّا ما في القرآن ، أَلا وإِنِّي واللَّه قد وعظت ، وأَمرت ، ونهيت عن أَشياء إِنَّها لمثل القرآن أَو أَكثر ، وإِنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لم يُحلَّ لكم أَنْ تدخلوا بيوت أَهل الكتاب إِلَّا بإِذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أَكل ثمارهم إِذا أَعطوكم الذي عليهم » .

حسن – أَخرجه أَبو داود (٣٠٥٠) ، ومن طريقه ابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٤٩) ، والبيهقي (٩ / ٢٠٤) ، وابن حزم في « الإِحكام » (٢ / ٢١) . وأَخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ٩) ، وابن نصر المروزي في « السنَّة » (ص ١١٦ – ١١٧) كلهم عن محمَّد بن عيسى ، قال : ثنا أَشعث بن شعبة المِصِّيصي ، قال : ثنا أَرطأَةُ بن المنذر ، قال : سمعت حكيم بن عامر أَبا الأَحوص يحدِّث عن العرباض بن سارية السُّلمي ، فذكره .

قلت : محمَّد بن عيسى ابن الطباع – هو ابن نجيح البغدادي – ثقة ثَبْت ، كما في « التقريب » (٢ / ١٩٨) .

وأَشعث بن شعبة المصّيصي حسن الحديث إِنْ شاء اللَّه ، لَيَّنه أبو زرعة وغيره كما في « ميزان الاعتدال » (١ / ٢٦٥) ، ووثَّقه ابن حبَّان ، وأَبو داود ، كما في « تهذيب التهذيب » (١ / ٣٥٤) .

روى عنه جماعة : إبراهيم بن الحسين الأَنطاكي ، وأَبو الطَّاهر أَحمد بن عمرو ابن السرح المصري ، والحسن بن الرَّبيع البوراني ، وسفيان بن محمَّد المصِّيصي ، وسلمة بن غَفَّار ، وعبدالوهاب بن نجدة الحَوطي ، وعلي بن معبد بن شداد الرَّمِّي ، ومحمَّد بن عيسى ابن الطَّباع ، والمسيب بن واضح ، وهشام بن المُفَضَّل ، ويعقوب ابن كعب الأَنطاكي ، وأَبو رضوان اليمان بن سعيد المصيصي ، كما في « تهذيب الكمال » (٣ / ٢٧٠) .

وأَرطأَة بن المنذر : ثقة .

وحكيم بن عُمَير : صدوق يهم ، كما في « التقريب » (١ / ١٩٤) ، وقال أَبو حاتم : لا بأْس به ، كما في « الجرح والتعديل » (٣ / ٢٠٦) .

الثاني – عن أَبي رافع رضي اللَّه عنه أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : « لا أُلفيَنَّ أَحدكم متكئًا على أَريكته يأْتيه الأَمر من أَمري ، مما أَمرت به ، أَو نَهيت عنه فيقول : لا أَدري ؛ ما وجدناه في كتاب اللَّه اتبعناه » .

صحيح – أَخرجه أَبو داود (٤٦٠٥) ، وابن ماجه (١ / ٦) ، والترمذي (٥ / ٣٧) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، والبيهقي في « سننه الكبرى » (٧ / ٧٦) وفي « دلائل النُّبوَّة » (١ / ٢٤ و ٦ / ٥٤٩) ، والحاكم (١ / ١٠٨) وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي ، والبغوي في « شرح السنة » (١ / ٢٠٠ – ٢٠١) وقال : « هذا حديث حسن » ، والشافعي في « الرِّسالة » (ص ٨٩ ، ٢٢٥ ، ٤٠٣) ، والحميدي (٥٥١) ، وابن حبَّان في « صحيحه » (١ / ١٧٤) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٨٨) و « الكفاية » (ص ١٠) ، وابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٥٠) و « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩) ، وابن حزم في « الإِحكام في أُصول الأَحكام » (٢ / ٨٢) وصححه ، واللالكائي في « شرح أُصول اعتقاد أَهل السنَّة والجماعة » (١ / ٨٢) ، والآجري

في « الشريعة » (ص ٥٠) كلهم من طريق سفيان ، عن سالم أَبي النضر مولى عمر ابن عبيداللَّه سمع عبيداللَّه بن أَبي رافع يحدِّث عن أَبيه مرفوعًا .

قلت : وهذا إِسناد ضحيح ، أَبو رافع القِبطي رضي اللَّه عنه مولى رسول اللَّه ﷺ ، واسمه أَسلم ، على الصحيح ، كما صرَّح به الترمذي والبغوي ، وابنه عبيداللَّه ومن دونه ثقات .

لكن وقع اختلاف في إِسناد الحديث ، لا يضرُّ إِنْ شاء اللَّه ، ودونك التفصيل :

١ - عند ابن ماجه وقع شك : حدَّثنا نصر بن علي الجهضمي : ثنا سفيان بن عيينة - في بيته ، أَنا سأَلته - عن سالم أَبي النضر ، ثمَّ مرَّ في الحديث قال : أَو زيد ابن أَسلم عن عبيداللَّه بن أَبي رافع عن أَبيه أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ (وذكره) .

لكنني بحمد اللَّه وجدت متابعاتٍ ترفع الشك والاحتمال عن سفيان :

أ - أَخرج أَحمد (٦ / ٨) عن علي بن إِسحاق : أَنا عبداللَّه : أَنا ابن لهيعة : حدَّثني أَبو النضر أَنَّ عبيداللَّه بن أَبي رافع حدَّثه عن أَبيه عن النَّبي ﷺ (وذكره) .

قلت : هذه متابعة تامَّة صحيحة الإِسناد ، وابن لهيعة وإِنْ كان سيِّء الحفظ فرواية العبادلة عنه تُصحِّح حديثه .

قال الأَزدي والسَّاجي : « إِذا روى العبادلة عن ابن لهيعة فهو صحيح : ابن المبارك ، وابن وهب ، والمقرئ » ، أَفاده الحافظ في « التهذيب » (٥ / ٣٧٨) .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : « لا أَعتدُّ بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة إِلَّا سماع ابن المبارك ونحوه » ، أَفاده الحافظ في « التهذيب » (٥ / ٣٧٥) .

قلت : وأَقرَّهم الحافظ ابن حجر في « التقريب » (١ / ٤٤٤) فقال : « ورواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه أَعدل من غيرها » إ.هـ .

وهذه المتابعة من رواية عبداللَّه بن المبارك عنه ، فتدبَّر (!) ، وقد قصَّر الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه ، فقال في تعليقه على « الرسالة » (ص ٩٠) بعد أَنْ ذكر

إسناد المتابعة[١]: « وابن لهيعة ثقة ، وقد صرَّح بالسَّماع من أَبي النَّضر » .

قلت : ابن لهيعة لم يُجرح بالتدليس فقط ، وإنَّما بسوء الحفظ أَيضًا ؛ لأَنَّ كتبه احترقت فاختلط ، لكن رواية العبادلة عنه ترفع من شأن حديثه كما ذكرنا آنفًا ، لذلك قال الحافظ : « ... صدوق من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أَعدل من غيرها ، وله في مسلم بعض شيء مقرون » .

وابن لهيعة اتهمه ابن حبَّان بالتدليس ، فقال في « المجروحين » (٢ / ١١) : « وكان شيخًا صالحًا ، ولكنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه ، ثمَّ احترقت كتبه في سنة سبعين ومائة قبل موته بأَربع سنين ، وكان أَصحابنا يقولون : إنَّ سماع من سمع قبل احتراق كتبه مثل العبادلة فسماعهم صحيح ، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء ... » .

وحشره ابن حجر - رحمه اللَّه - مع المدلِّسين في « تعريف أَهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » (ص ١٤٢) .

وبذلك ترى أَنَّ تدليس ابن لهيعة عن الضعفاء ، أَمَّا شيخه في هذه المتابعة فهو ثقة ، ومع ذلك فقد صرَّح ابن لهيعة بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه .

ثمَّ رأَيت الشيخ أَحمد شاكر قد وضَّح منهجه في توثيق ابن لهيعة ، فقال في تعليقه على « سنن الترمذي » (١ / ١٦) معقِّبًا قولَ الترمذي رحمه اللَّه : « وابن لهيعة ضعيف عند أَهل الحديث ؛ ضعفه يحيى بن سعيد القطَّان وغيره من قبل حفظه » .

أَقول : تعقبه أَحمد شاكر رحمه اللَّه فقال : « وابن لهيعة - بفتح اللام وكسر

---

(١) نقله الشيخ أَحمد شاكر معنعنًا : عن علي بن إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ... والصَّواب ما أَثبتُّه ، ولم يقع عند أَحمد التصريح باسم عبداللَّه بن المبارك كما هو الظاهر من نقل الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه ، وإنَّما ذكر عبداللَّه فقط ، وإنْ كان هو المراد (!) .

الهاء – هو عبداللَّه بن لهيعة بن عقبة الغافقي أَبو عبدالرحمن المصري القاضي الفقيه ، وهو ثقة صحيح الحديث ، وقد تكلم فيه كثيرون بغير حجة من جهة حفظه ، وقد تتبعنا كثيرًا من حديثه ، وتفهمنا كلام العلماء فيه ، فترجح لدينا أَنَّه صحيح الحديث ، وأَنَّ ما قد يكون في الرواية من الضعف إِنَّما هو ممن فوقه أَو ممن دونه ، وقد يخطئ هو كما يخطئ كل عالم وكل راوٍ ، وروى أَبو داود عن أَحمد بن حنبل قال : « ومن كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإِتقانه ؟ » ، وقال سفيان الثوري : « عند ابن لهيعة الأُصول ، وعندنا الفروع » إ.هـ .

قلت : هذا الكلام مردود من وجوه :

١ – كلام الترمذي رحمه اللَّه وغيره ممن تكلم في ابن لهيعة من قبل حفظه – جرح مفسر ، فوجب تقديمه على التعديل .

٢ – أَكثر أَئمَّة الجرح والتعديل يفرِّقون بين حالَي ابن لهيعة قبل احتراق كتبه سنة ١٧٠ هـ ، وبعد احتراقها ، وقد سُقنا من كلامهم ما يدل على المطلوب ، ونزيدها فنقول :

قال الدارقطني في « الضعفاء والمتروكين » (٣٢٢) : « ... ويعتبر بما يروي عنه العبادلة : ابن المبارك ، والمقرئ ، وابن وهب » .

وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » (١ / ٢٣٨) : « ولم يكن على سعة علمه بالمتقن ؛ حدَّث عنه ابن المبارك ، وابن وهب ، وأَبو عبدالرحمن المقرئ ، وطائفة قبل أَن يكثر الوهم في حديثه ، وقبل احتراق كتبه ، فحديث هؤلاء أَقوى ، وبعضهم يصححه ، ولا يرتقي إِلى هذا » .

٣ – نقطة الفصل في ابن لهيعة هي احتراق كتبه ؛ لأَنه بعدها خلط ، وساء حفظه ؛ لذلك فالإِعراض عن هذا التفصيل ، وتوثيق ابن لهيعة – مُطْلقًا – ضربٌ من التساهل الذي عُرف عن الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه .

ب - أَخرج الحاكم (١ / ١٠٩) : حدَّثنا أَبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب : أَنبأَ محمَّد بن عبدالله بن الحكم : أَنبأَ ابن وهب : أَخبرني مالك ، عن أَبي النضر ، عن عبيدالله ابن أَبي رافع ، عن النَّبي ﷺ مرسَلًا .

قلت : وصله ابن حبَّان (٩٨ - موارد) ، والخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١٠) ، والسمعاني في « أَدب الإِملاء والاستملاء » (ص ٣) من طريق أَبي إِسحاق الفَزاري ، عن مالك بن أَنس ، عن سالم أَبي النَّضر ، عن عبيدالله بن أَبي رافع ، عن أَبيه أَبي رافع قال : قال ﷺ ... الحديث .

وأَبو إِسحاق الفزاري هو إِبراهيم بن محمَّد بن الحارث بن أَسماء بن حفص بن حذيفة الفزاري ثقة حافظ ، كما قال الحافظ في « التقريب » (١ / ٤١) ، والوصل زيادة ثقة ، وهي مقبولة ، وبهذا تصبح متابعة مالك موصولة صحيحة الإِسناد - والحمدُ للَّه على توفيقه وهداه - وقد خفي الوصل على الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه فزعم أَنَّ رواية مالك مرسلة (ص ٩٠ من تعليقه على « الرِّسالة ») .

وبذلك يتحقق أَنَّ سفيان لم يهم ، ولم يشكَّ ، وإِنَّما وقع ذلك من نصر بن علي الجهضمي عند ابن ماجه واللالكائي ، وبه جزم الأَخير فقال (١ / ٨٣) : « وذكر نصر : زيد بن أَسلم في الإِسناد وهم » .

ت - وجدت متابعة لسفيان من طريق الليث بن سعد ، عن أَبي النَّضر ، عن موسى بن عبدالله بن قيس ، عن أَبي رافع ، عن رسول اللَّه ﷺ أَنَّه قال - والنَّاس حوله - : « لا أَعرفنَّ أَحدكم يأْتيه الأَمر من أَمري ؛ قد أَمرت به ، أَو نَهيت عنه وهو متَّكئ على أَريكته فيقول : ما وجدنا في كتاب اللَّه عملنا به ، وإِلَّا فلا » .

أَخرجها الحاكم (١ / ١٠٩) .

ووجدت أَنَّ سالم بن شَوَّال المكي تابع أَبا النَّضر فرواه عن موسى بن عبدالله بن قيس ، عن عبيدالله أَو عبدالله بن أَبي رافع ، عن أَبيه أَبي رافع قال : سمعت النَّبي

ﷺ ، وذكره .

أَخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩ - ١٩٠) .

قلت : سالم بن شَوَّال ثقة ، كما في « التقريب » (١ / ٢٨٠) ، وموسى بن عبداللَّه بن قيس ذكره ابن أَبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨ / ١٤٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، لكن روى عنه ثقتان هما : أَبو النَّضر وسالم المكي ، فمثله يستشهد به ؛ لأَنَّه قد زالت جهالة عينه ، وقد وهم الشيخ أَحمد شاكر رحمه اللَّه ، فقال في تعليقه على « الرِّسالة » (ص ٩٠) : « موسى بن عبداللَّه بن قيس وهو موسى بن أَبي موسى الأَشعري وهو تابعي ثقة » .

قلت : فَرَّق بينهما ابن أَبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٨ / ١٤٨) ، والقول قوله .

ولا تُعَلُّ هذه المتابعة برواية أَبي النضر عن موسى بن عبداللَّه بن قيس ، عن أَبي رافع ، وتارة أُخرى عن موسى بن عبداللَّه بن قيس عن عبيداللَّه بن أَبي رافع ، عن أَبيه ؛ لأَنَّه ليس ببعيد أَنْ يكون موسى بن عبداللَّه بن قيس سمعه من أَبي رافع وابنه عبيداللَّه ، فيكون له شيخان في هذه المتابعة ، وكذلك ليس ببعيد أَنْ يكون أَبو النَّضر سمعه من عبيداللَّه بن أَبي رافع وموسى بن عبداللَّه بن قيس ، فيكون له شيخان في هذا الحديث ، ومثل هذا الجمع لابدَّ منه ؛ لأَنَّ توهيم الثقة بغير حجة لا يجوز ، كما هو معروف في علم المصطلح .

وهذا ما ذهب إِليه الشيخ أَحمد شاكر في تعليقه على « الرِّسالة » (ص ٩٠) فأَصاب .

٢ - أَخرج الترمذي : حدَّثنا قتيبة : حدَّثنا سفيان بن عيينة ، عن محمَّد بن المنكدر وسالم أَبي النَّضر ، عن عبيداللَّه بن أَبي رافع ، عن أَبي رافع وغيره رفعه .

وروى بعضهم عن سفيان عن ابن المنكدر عن النَّبي ﷺ مرسَلًا . وسالم بن

أَبي النَّضر عن عبيدالله بن أَبي رافع عن أَبيه عن النَّبي ﷺ . وكان ابن عيينة إِذا روى هذا الحديث على الانفراد بَيَّن حديث محمَّد بن المنكدر من حديث أَبي النَّضر ، وإِذا جمعهما روى هكذا .

٢ - ١ - يظهر من هذا الإِسناد أَنَّ سفيان روى حديث ابن المنكدر مقرونًا موصولًا ، لكنَّه رواه في مواطن أُخرى مرسَلًا ، فعند الشَّافعي في « الرِّسالة » (ص ٩٠ ، ٤٠٤) ومن طريقه ابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٥٠) : وحدَّثنيه محمَّد المنكدر عن النَّبي مرسَلًا .

وعند الحميدي (١ / ٢٥٥) ومن طريقه ابن عبدالبر في « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩) : وقال سفيان : وأَنا لحديث ابن المنكدر أَحفظ ؛ لأَني سمعته أَوَّلًا ، وقد حفظت هذا أَيضًا .

وعند الآجري في « الشريعة » (ص ٥٠) : عن محمَّد بن المنكدر عن سالم ابن أَبي النَّضر عن عبيدالله مرسَلًا .

ولا تعارض بين الوصل والإِرسال ؛ لأَنَّ الوصل زيادة ثقة ، ومن علم حجة على من لم يعلم، وقد روى الوصلَ قتيبةُ بن سعيد بن جميل ثقة ثبت من رجال الشيخين .

وقد وجدت شاهدًا موصولًا لحديث ابن المنكدر عن جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لعل أَحدكم أَنْ يأتيه حديثٌ من حديثي وهو متكئ على أَريكته فيقول : دعونا من هذا ؛ ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه » .

وله عنه طرق :

الأُولى - من طريق يزيد الرَّقَاشي ، أَخرجها الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١٠) وأَبو يعلى (١٨١٣) عن محمَّد بن عبدالله الأَنصاري : حدَّثنا إِسماعيل ابن مسلم عن الحسن عنه ، به .

قال الهيثمي في « المجمع » (١ / ١٥٥) : « وفيه يزيد بن أَبان الرقاشي ، وهو

ضعيف » .

قلت : والقول قوله ، لكنّ يزيدَ مع ضعفه فروايته لا بأَس بها في المتابعات والشواهد .

الثانية – من طريق عباد بن كثير ، أَخرجها الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١١) .

قلت : عباد بن كثير : إِنْ كان الرمليَّ فضعيف يستشهد به ، وإِنْ كان البصريَّ فمتروك لا يفرح به .

الثالثة – من طريق محفوظ بن مِسْوَر الفِهري ، أَخرجها الخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١ / ٩٠) ، وابن عبدالبر في « التمهيد » (١ / ١٥٢) و « جامع بيان العلم » (٢ / ١٨٩) ، وعزاها الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١ / ١٤٩) إِلى الطَّبراني في « الأَوسط » وقال : « وفيه محفوظ بن مِسْوَر وذكره ابن أَبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا » .

قلت : محفوظ بن مِسْوَر لم أَره في « الجرح والتعديل » المطبوع ، لكن ترجم له الذهبي في « الميزان » (٣ / ٤٤٤) وقال : « لا يُدرى من ذا » ، ونقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٥ / ١٩) .

وفي الحديث أَيضًا عنعنة بقية .

وبهذه الطرق دون الزِّيادات التي وقعت في كل طريق يصير الشاهد حسنًا لغيره ، واللَّه أَعلم .

٢ – ٢ – ظاهر الإِسناد عند الترمذي أَنَّ الحديث موقوف ؛ لذلك قال : وغيره رفعه .

وهذا لا يضرُّ إِنْ شاء اللَّه ؛ فإِنَّ الحديث وإِن كان موقوفًا عند الترمذي ، فإِنَّه مرفوع حكمًا ؛ لأَنَّه لا يقال بالرأَي والاجتهاد .

الثالث – عن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا أَعرفنَّ أَحدًا منكم يأْتيه عنِّي حديث وهو متَّكئ على أَريكته فيقول : اتلوا عليَّ به قرآنًا .

ما جاءكم عنِّي من خيرٍ قلته أَو لم أَقله فأَنا أَقوله ، وما أَتاكم عنِّي من شرٍّ فأَنا لا أَقول الشرَّ » .

أَخرجه أَحمد (٢ / ٣٦٧ و ٤٨٣) ، والبزَّار في « كشف الأَستار » (١ / ٨٠) ، والآجري في « الشريعة » (ص ٥٠) شطره الأَوَّل من طريق أَبي مَعْشَر ، عن سعيدٍ ، عن أَبي هريرة مرفوعًا .

قلت : وهذا إِسناد ضعيف ، وعلَّته أَبو مَعْشَر وهو نَجِيح بن عبدالرحمن السِّندي ضعيف ، أَسنَّ ، اختلط ، وضعَّفه الهيثمي في « المجمع » (١ / ١٥٤) .

لذلك فَصَدْرُ الحديث يصلح شاهدًا ، أَمَّا الشطر الأَخير فمنكر ، قال البيهقي : « صدر هذا الحديث موافق للأَحاديث الصحيحة في قبول الأَخبار ، وقوله : « قلته أَو لم أَقله » في هذه الأَحاديث ما لا يليق بكلام النَّبي ﷺ ولا يشبه المقبول »[1].

ولقد بحثت طويلًا لعلِّي أَجد ما يعضد شطره الأَخير فلم أَقف إِلَّا على ما يقوِّي نكارته ، وسيكونُ تفصيل ذلك – إِنْ شاء اللَّه تعالى – في جزء مفرد هو « التبيان في إِثبات بطلان أَحاديث عرض السنَّة على القرآن » .

الرابع – عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ما بال أَصحاب الحشايا يكذِّبوني ، عسى أَحدكم يتكئ على فراشه ، يأْكل مما أَفاء اللَّه عليه ، فيؤتى يُحدَّث عنِّي الأَحاديث فيقول : لا أَرَبَ لي فيها ، عندنا كتاب اللَّه ، ما نهاكم عنه فانتهوا ، وما أَمركم به فاتبعوه » .

أَخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص ١١) من طريق حمزة بن أَبي حمزة النَّصِيبي ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عبَّاس مرفوعًا .

---

(١) نقلًا عن « مفتاح الجنَّة » للسيوطي (ص ١٨٣) .

قلت : حمزة بن أَبي حمزة النَّصِيبي (متروك مُتَّهم بالوضع) كما في « ميزان الاعتدال » (١ / ٦٠٦) ، و « التقريب » (١ / ١٩٩) فلا يُستشهد به .

الخامس – عن أَبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يمسي رجل يكذِّبني وهو متكئ يقول : ما قال هذا رسول اللَّه ﷺ » .

أَخرجه الهروي في « ذم الكلام » (ق ٢٩ / ٣ – ٣٠ / ١) من طريق حمَّاد ابن زيد ، عن أَبي هارون العبدي عنه ، به .

قلت : هذا إِسناد ضعيف جدًّا ؛ لأَنَّ أَبا هارون العبدي – واسمه عُمارة بن جُوَين – قال النَّسائي في « الضعفاء والمتروكين » (٤٧٦) : « متروك الحديث بصريٌّ » وقال البخاري في « الضعفاء الصغير » (٢٨٢) : « أَبو هارون العبدي عن أَبي سعيد تركه يحيى القطَّان » ، وقال الحافظ في « التقريب » (٢ / ٤٩) : « ... مشهور بكنيته متروك ، ومنهم من كذَّبه ، شيعي ... » .

وبالجملة ؛ فالحديث صحيح غايةً لذاته ، وشواهده ترفع من ثبوته ، وبخاصَّة حديث العرباض ، وأَبي رافع ، والشطر الأَوَّل من حديث أَبي هريرة ، وأَمَّا بقية الشواهد فذكرتها من باب (العلم بالشيء أَفضل من جهله) .

والحمد للَّه على توفيقه وفضله ، سائلين المولى أَن يجعلنا من طلَّاب الحديث وأَهله .

وإِلى لقاء في مباحث التحليل والتأَصيل .

هل نحن قومٌ سلفيُّون(١) ؟

أحمد سلام

على الرُّغم من التعارض بين عموم دلالة هذا السؤال ، وطبيعة الصفات التي يُفترض أَنْ تمثلها الجهة المقصودة به ؛ فإنَّ السؤال مُلحٌّ ، ويحتاج إلى وقفات متأنِّية ، بل إنَّ هذا التعارض المشار إليه يمثِّل أهم الأسباب التي تدفع إلى طرحه ومذاكرته .

ذلك أَنَّ التفاوت بين الأَسماء والمسمَّيات ، أَو المناهج والتطبيقات هو مِن أَخطر إشكاليَّات العمل الإسلامي المعاصر ، وإذا زال هذا التفاوت سنكون في غير حاجة لطرح هذا السؤال وأَمثاله بإذن اللَّه تبارك وتعالى .

وأُحب أَن أَعجَل بتوضيح أَنَّ عامَّة من قَبِلَ الانتساب إلى منهج السَّلف - أَو من يفهم أَنَّ اصطلاح منهج أَهل السنَّة والجماعة ليس إلَّا اسمًا شريفًا معبِّرًا عن حقيقة منهج السَّلف - يعرفون عقيدة التوحيد ، بأَقسامها وأُصولها وأَحكامها ، ويتفقون على المعاني العامة للسنَّة والبدعة ، وعلى المصادر العلمية من كتابٍ وسنةٍ وفهمٍ للسَّلف ، كما نجد لديهم أَقدارًا متقاربة من الاهتمام بمحاربة بدع الجهمية ، وضلالات المرجئة ، ومقالات التعطيل ، ومن التصدِّي لضلالات الرَّافضة ، وجهالات التصوف ، إضافة إلى وجود الاهتمام في العموم بالإحياء الإسلامي ، وتجديد المفاهيم ، وإحياء الفرائض الغائبة ، وإصلاح وتكميل الواجبات المختلَّة والناقصة .

إذًا فمن الواضح أَنَّ السؤال لا يتناول عموم مواقفنا من هذه الموضوعات ، ولا

---

(١) ترحب **الأصالة** بآراء الإخوة القرَّاء حول ما ورد في هذا المقال إثراءً للبحث ، وإيفاءً للمقام . (**الأصالة**) .

ينطلق كذلك من أُمور اجتهادية وسع السلفَ الاختلافُ فيها ، أَو من نظائرها من المستجدات التي لم يظهر فيها دليل راجح يجب المصير إِليه .

فالسؤال إِنَّما يتوجه إِلى القضايا المنهجية ، من الأُصول العلمية والعملية ، التي نتج عن اختلالها تكاثر المعوِّقات التي تعطِّل مسيرة الدعوة ، وتحرف اتجاهها ، بل وتولد الكوارث المتلاحقة التي تدمر الطاقات ، وتحرق الأَوراق .

وحتَّى نستطيع أَن نمضي مع المسار الإِيجابي لهذا السؤال ، لابد أَنَّ نعلم علمًا قطعيًّا أَنَّ أَعمالنا الدعوية ليست إِلَّا نتاجًا مشتركًا ، نبت بين فهمنا لمنهج السَّلف وتطبيقنا له ، وبعبارة أَوضح : إِنَّ سلفيتنا ليست تمثيلًا مطابقًا لمنهج السَّلف ، وهي تقترب من الأَصل أَو تبتعد عنه بمقدار ما في الفهم والعمل من صوابٍ أَو انحرافٍ .

وبهذا يمكن المضيُّ تمهيدًا للجواب ، والذي سيظهر من خلال استعراض النَّماذج التالية :

١ - إِنَّ منهج السَّلف هو منهج الجماعة الراشدة في إِيمانها ، واعتصامها ، وتلاحمها ، وثباتها ، وفاعليَّتها ، أَمَّا سلفيتنا فقد أَثمرت تجارب دعوية ، تتأَرجح - رغم ما فيها من إِيجابيَّات - على شفير الحزبية القائمة على مفاهيم ممتنعة على التغيير والتصويب ، وعلى الحوار تحت أَشعة الشمس ، مع الانتصار لآراء المقرَّبين أَو (المعتمدين) في جل الأَحوال ، وذلك تحت مفهوم العمل الجماعي ، وإِحياء الجماعة .

كما أَثمرت سلفيتنا مواقف تنفر من آثار (جماعة واجتماع) ومعانيها ، بل أَكاد أَقول : إِنَّها ترفض مادة (جمع) بمشتقاتها ، حذرًا من مفاسد الجماعات القائمة ، والحزبيَّات القاتمة ، وتجنُّبًا لمحاذير التجارب المعاصرة !

٢ - وإِنَّ منهج أَهل السنَّة والجماعة هو منهج التوحيد ، وبه عُرف السلفيون ، ولأَجل اهتمامهم بتعليمه ونشره نَبَزَهم خُصومُ الحقِّ بالوهابيين !

وقد أَنتجت سلفيتنا دعاةً يدرسون أَبواب كتاب التوحيد ، ويعلِّمون الطلبة

حُكْمَ التحاكم للطاغوت ، وحرمة الذبح للّه في مكانٍ يُذبح فيه لغير اللّه ، ولا يحول هذا بينهم وبين استباحة دخول البرلمان ، أَو الإِعانة على دخوله ، أَو الإِنكار على من يُحجم عن تأْييد الدخول إِليه ، وإِعلان فرحه به ، وأَقل أَحوال من دخل البرلمان أَنّه جسّد عبادة سلطة الشعب ، وتقديس دستوره في مكانٍ بني لعبادة غير اللّه ، ولمحادَّة شرع اللّه ، ومضارَّة دينه ، وإِرصادًا لمن حارب عقيدة الإِسلام ، وشريعته وأُمَّته !

٣ - وإِنَّ منهج السَّلف هو منهج الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، فهو عهد رسول اللّه ﷺ لأُمَّته أَينما كانت ، ومتى وجدت ، ومن أَفضله كلمة الحق عند سلطان جائر ، وغاية ذروته رفع راية الجهاد في سبيل اللّه ، كما سنَّ لنا رسول اللّه ﷺ بقوله وفعله ، وكما فهم عنهم أَصحابه - رضي اللّه عنهم - حكمًا ومنهجًا .

وقد قدَّمت سلفيتنا نماذج من الدعاة اختزلوا أُصول الإِسلام الاعتقادية والعلمية والعملية في الجهاد ، أَو قل : وضعوا الجهاد في موضع أَصل الأُصول ، وسخَّروا كل المفاهيم والأَدلة والقواعد لتوصل إِلى جعل الجهاد أَعظم المقاصد ، وأَخطر الغايات ، ثمَّ طوَّعوا كل الأَدلَّة الكلية والجزئيَّة لتنصر مفهومهم عن الجهاد ، وأَهملوا أَو همَّشوا كل ما خالف فهمهم من نقل أَو أَصل أَو قاعدة ، ثمَّ مضوا في تجريح وتجهيل وتضليل كل داعية خالف قولُه رأْي مجتهديهم في هذا الجهاد ، لا يستثنون كبيرًا ولا جليلًا ولا عظيمًا ، وأَرادوا أَنْ يصرفوا الأُمَّة عن اتِّباع هداتها وأَئمَّتها ، وأَن يبدلوها بهم أَحداثًا وقاصرين ، غاية الغايات عند أَعلمهم تخيُّر ما وافقه من الأَدلَّة ، وانتقاء عباراتٍ من أَقوال أَهل العلم ، بعيدًا عن الفقه والضبط ، ودون مراعاة للمقاصد والسياق ، والدلالات والقواعد ، ودون وقوف عند مناط الأَحكام .

وإِلى جانب هذا قدَّمت سلفيتنا (بعضَ) مواقف تتجه إِلى تطبيع نصوص الإِسلام لتوافق الواقع ، ولتصبح متكلمًا رسميًّا في المؤسسات الرَّسمية ، وناطقًا بلسان رغبات الحاكم ، في زمن الفضيحة والهزيمة والذلّ .

٥ – وإنَّ منهج الدعوة السَّلفي هو منهج العلم ، والاتباع المبصر ، البعيد عن ضلالات التقليد الأعمىٰ ، والمنهج الوسط الذي يقيم العلاقة الرَّاشدة بين العالم والمتعلم ، على أَساس التوقير والتراحم ، والتَّلقِّي العلمي المنهجي ، لتربية علماء المستقبل .

لكننا نجد أَنَّ سلفيتنا قدمت اتجاهات تدثرت برداء الدعوة السَّلفية ، وجمعت تحته بين الدعوة إِلى اعتماد التقليد منهجًا لتلقِّي (العلم) ، وتربية قادة المستقبل ، وانتقاص الأَئمَّة الذين أَقاموا بنيان الدَّعوة السلفية ، وجاهدوا من أَجلها ، وتنفير بل دفع الشباب عن الثقة بهم ، والرجوع إلى علمهم ، بالإِضافة إلى السَّعي الدائب لتصنيع نماذج من الرؤساء الجهال ، الذين لم يتضلّعوا في العلم ، ولم يدرُجوا في مهاده ، أَمثال الصحفي والمؤرخ واللغوي ، ونماذج من العائدين بعد رحلات التِّيه ، في قوافل المناهج البدعية الملفَّقة .

فهل نحن – بهذه الحصيلة – قوم سلفيون ؟

هل استرجعنا مفهوم المنهج السَّلفي باعتباره نظام الملة الجامعة للأُمَّة ؟ وهل استعدنا التصور لكلية المنهج بتناسقه ، وروابطه ، وتكامله ، كما ترك رسول اللَّه ﷺ أَصحابه عليه : منهج عقيدةٍ وعبادةٍ وعلمٍ وخلقٍ ، وتعاملٍ وترابطٍ ، وبناءٍ وسياسةٍ ، وقيادةٍ وتعاونٍ ، وتقويمٍ ومراجعةٍ ؟ .

هل أَحكمنا قواعد الرجوع إِلى منهج السَّلف ، لنجعل منه الميزان الشامل في الولاء والبراء ، والحب والبغض ، والتأْسيس والنقض والتجديد ، وميزانًا لفهم المناهج والجماعات والمتغيِّرات ؟

هل أَعدنا تشكيل وبناء عاداتنا وارتباطاتنا ، وطريقة حياتنا ، ومشاريعنا وأَهدافنا انطلاقًا من منهجنا ، وتأْسيسًا على ضوابطه ، وخدمةً لمقاصده وأَهدافه ؟

هل تعلَّمنا أَنَّ منهج أَصحاب رسول اللَّه ﷺ منهجٌ فذٌّ فريد في كماله

وعصمته ؟ وأَنَّه غنيٌّ عن كل منهج سواه ؟ وهل بلغ إِلى قرارة يقيننا أَنَّه منهج ممتنع على مشاريع الشركة مع غيره ، وأَنَّه لا تستقيم في موازينه محاولات الترقيع والتلفيق ؟ وهل تجردنا له ولاءً ونصرةً ودعوةً ؟

هل استطعنا أَنْ نستمد من الشورى - وهي من أُصول منهج السَّلف - في حياتنا تنظيمًا لتفكير الفرد ، وتواصلًا بين الإِخوة ، وتحصيلًا لخيراتٍ وعلوم إِضافية ، وأَنْ نحقِّق فهمًا مستمدًّا من علمِ جماعةٍ ، وقرارًا مرتكزًا على نصيحةِ جماعةٍ ، ونوظِّف كل ذلك لخدمة المنهج والجماعة ؟

هل استطعنا أَنَّ نخرج من دائرة هموم الفرد ؛ فنفكر في الجماعة ، ونهتم لهموم الأُمَّة ، ونتداعى لسد حاجات الجماعة ، ونتشرف الآفاق خوفًا على مصير الجماعة بمفهومها الشرعي الصَّحيح ؟

هل تعلَّمنا أَنَّ الحب بين أَهل المنهج الواحد يجب أَن يتزامل مع الاختلاف بالحق والنَّقد الهادف المخلص في حياتنا ، كما تآخى مع الموافقة والمتابعة في حياة النَّاس ؛ فلا نعتبر النقد أَو المخالفة أَو التخطئة من دلائل البغض أَو البراء ، أَو من أَسباب النفور والافتراق ؟

هل تعلمنا كيف نفرق بين الأُصول والمحكمات القطعيَّة - التي لا يسع الخلاف فيها ، والتي يجب الإِنكار على المخالف لها ، والتعاون على إِزالة الاختلاف فيها ، والتي تستحق البراء أَو الهجر ، بعد البيان والنصح - والأُمور التي اتسع لها منهج السَّلف ؛ لتعدد الأَقوال فيها ، والتي لا يجوز أَن نتجاوز في أَمرها البيان والنصح ، دون أَن يصل أَمرها إِلى التنافُر ، والتعارك ، والتهارج ؟

هل نحن - بهذه المثابة - قوم سلفيون ؟

أَعني : هل نحن قوم أَحكموا منهجهم ، وعرفوا سبيلهم ، وحدَّدوا غاياتهم ، وأَجمعوا أَمرهم ؟ وهل في النِّية أَن نكون كذلك ؟ ومتىٰ ؟

قل : عسى أَنْ يكون ذلك قريبًا - بإِذن اللَّه .

أفلست العلمانيّة ولكن .. ؟

أُسامة شحادة

أعلن الدكتورُ فؤاد زكريا إفلاسَ العلمانيّةِ في رِثائِه لأُستاذِه العِلمانيِّ (زكي نجيب محمود) حيثُ قال :

« .. وبعبارةٍ أُخرى ؛ فإنَّ ما يُدمي القلبَ حقّاً ، هو تراجعُ رسالةِ التنويرِ وانحسارُها بعد مائتي عامٍ مِنْ بدايتِها القويّةِ في أَوائلِ القرنِ التاسعَ عَشَرَ » (١) .

وقالَ أَيضاً : « ولكنَّ الأَمرَ المأساويَّ حقّاً - الَّذي يُفسرُ بوضوحٍ بكاءَ زكي نجيب محمود - هو أَنْ تحينَ لحظةُ غيابِ رجلٍ أَفنى عمرَه من أَجلِ التنوير في هذه الأَيّام الحالكةِ ، الّتي بلغَ فيها التخلُّفُ مداهُ ، واشتدَّ فيها ساعدُ التراجعِ والنكوصِ على كلِّ ما عاشَ هذا الرَّجلُ من أَجلِه » (١) .

وقالَ معلِّقاً على النقاباتِ الّتي كانت دوماً معقلَ العلمانيّين واليساريّين : « فقد انتشرت العقليّةُ الأُسطوريّةُ الغيبيّةُ انتشاراً مخيفاً ، وأَصبحت أَهمُّ النقاباتِ العلميّةُ تعقدُ أَخطرَ الندواتِ من أَجلِ مناقشةِ موضوعات ؛ مثلُ : هل السياحةُ حلالٌ أَم حرامٌ ؟ ويهللُ المسؤولونَ عن الثقافةِ في أَكثر من بلدٍ عربيٍّ فرحاً وكأَنّهم عَثَروا على كنزٍ ثمين حين يصدرُ كتابٌ يهدفُ إلى إثباتِ أَنّه لا تعارضَ بين بعضِ أَنواعِ الفنِّ وبين الدين » (١) .

... هذه بعضُ الفقراتِ الصريحةِ تُبيِّنُ إفلاسَ العلمانيّة ، كَتَبَها دكتورٌ علمانيٌّ

---

(١) « مجلة العربي » عدد ٤٢٠ شهر تشرين ثاني ١١ / ١٩٩٣ م ، مقالة (زكي نجيب محمود المشهد الأَخير) .

في رثاءِ أُستاذِه ، الّذي عاشَ عمرَه من أَجلِها ، لكنَّ النتيجةَ الفشلُ والحمدُ للهِ .[١]

والذي أَقصدُه بإفلاسِ العلمانيّةِ ؛ هو فشلُها في القضاءِ على الإسلامِ في نفوسِ أَبنائِه ، وإبعادِه عن حياةِ المُسلمين ولو بمجرّد الانتسابِ .

ومع هذا الفشلِ والإفلاسِ ، فستبقى العلمانيّةُ هي الصبغةَ الغالبةَ على سلوكيّاتِ المؤسساتِ والأَفرادِ ، بعلمٍ أَو بجهلٍ بذلك ، وعلى اختلافٍ في الكيفيّةِ والكميّةِ حتّى يأتيَ البديلُ القويُّ الّذي يُزيلُ أَثَرَ هذه الصبغةِ العلمانيّةِ ، والله يقول : ﴿ إنَّ اللهَ لا يغيّرُ ما بِقَومٍ حتَّى يُغيِّروا ما بأَنفسِهم ﴾ ، ﴿ ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لفسدتِ السمواتُ والأَرضُ ﴾ .

لكنْ - كما ذكرت - للأَسفِ ليسَ الإسلامُ الّذي يملأُ حياةَ المُسلمين اليوم ، إنّما العلمانيّة ، والآنَ بعد إفلاسِها من سيملأُ الفراغَ ؟ هذا الّذي يجبُ أَن نهتمَّ به .

وهل وصلنا لمرحلةٍ نستطيعُ أَن نخرجَ من مَتاهةِ « الذين هم من جلدتِنا ، يتكلمونَ بألسنتِنا ، ولكنّهم دعاةٌ على أَبوابِ جهنّم ، من أَجابَهم إليها قذفوه فيها » [٢] ؟!!

هذا الّذي يجبَ أَن نُفكرَ فيه ونشتغلَ به ، وهل نحن - دعاةَ الكتابِ والسنّةِ - على استعدادٍ وقدرةٍ لِمَلءِ هذا الفراغِ ؟

إنَّ الدعوةَ السلفيّةَ - فضلاً عن أَنّها المنهجُ الصحيحُ والسليمُ لفهمِ الإسلامِ والعمل به - هي كذلك كانت البدايةَ والأَساسَ للصحوةِ الإسلاميّةِ المعاصرةِ .

وهذا الأَمرُ ليس ادّعاءً بلا دليلٍ ، وكلامَ أَبناءِ الدعوةِ وحدَها ؛ ولكن هذا ما يقولُه التاريخُ والواقعُ وكلُّ من طلبَ الحقَّ والإنصافَ .

وانظر ما يقولُه مستشرقٌ أَمريكيٌّ في بدايةِ هذا القرنِ (١٩٢٠م) وهو لوثروب

---

(١) لمزيد من التوسعِ في إفلاس العلمانيّة راجع كتاب« مأزق الفكر القومي» تأليف جمال سلطان .

(٢) قطعة مِن حديث حذيفة المُتّفق على صحّتِه .

ستودارد في كتابِه المشهورِ بـ « حاضر العالم الإسلاميّ » بتعليق شكيب أَرسلان ، بعدَ أَن وَصَفَ حالَ المُسلمين في القرنِ الماضي :

« وفيما العالم الإسلاميّ مستغرقٌ في هجعتِه ، ومُدلجٌ في ظلمتِه ، إِذ بصوتٍ يدوي من قلبِ صحراءِ شبه الجزيرةِ ، مهدِ الإسلامِ ، يُوقظُ المؤمنين ويدعوهم إِلى الإِصلاحِ والرُجوعِ إِلى سواءِ السبيلِ والصراطِ المُستقيم ، فكانَ صارخُ هذا الصوتِ إِنّما هو المُصلحَ المشهورَ محمد بن عبدالوهاب ، الّذي أَشعلَ نارَ الوهابيّةِ [١] فاشتعلت ، واتقدت ، واندلعت أَلسنتُها إِلى كلِّ زاويةٍ من زوايا العالمِ الإِسلاميّ ، ثمَّ أَخذ هذا الداعي يحضُّ المسلمين على إِصلاحِ النفوسِ ،واستعادةِ المجدِ الإِسلاميّ القديم ، والعزِّ التليدِ ، فتبدَّت تباشيرُ صُبحِ الإِصلاحِ ، ثمَّ بدأت اليقظةُ الكُبرى في عالمِ الإِسلام » [٢] .

وهذه شهادةٌ واضحةٌ ، والفضلُ ما شهدت به الأَعداء !

ونجدُ مفكراً إِسلامياً معروفاً بدفاعِه عن الإِسلامِ وردِّ كيدِ المُعتدين عليه – وإِنْ لم يكن من دعاةِ الدعوةِ السلفيّةِ ؛ لكنّه من أَهلِ الإِنصافِ إِن شاءَ الله ، – وهو الأُستاذُ أَنور الجندي – يقول :

« تجري حركةُ الفكر الإِسلاميّ حتّى قيام الحربِ العالميّة الأُولى في مرحلتين : المرحلةُ الأُولى عام (١٧٤٠ هـ / ١٨٧٥ م) .

أَولاً : بدأَت اليقظةُ من قلبِ الجزيرةِ العربيّةِ بصيحةٍ من الإِمامِ محمد بن عبدالوهابِ ، هذه الصيحةُ كانت علامةً على الدورِ الّذي بدأت الأُمّةُ العربيّةُ تقومُ به بعدَ ضعفِ الدولةِ العثمانيّةِ ، مقدمةً للدعواتِ المُختلفةِ الّتي توالت ، وأَبرزت معالمَ دعوةِ التوحيدِ ، وهو تلاحمُ الدعوةِ بالدولةِ ، هذا التلاحمُ الّذي أَعطاها الاستمرارَ

(١) هذا اللقب لا يصحُّ أَصلاً أَو وصفاً لدعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ، وإِنّما هو من وضعِ دجاجلة المتصوفة ومردة المستشرقين (!) . (الأَصالة)

(٢) « حاضر العالم الإِسلاميّ » (١ / ٢٦٠) .

والقوّةَ حتّى أَواخر القرن » [١] .

وكذلك نجد كاتباً إِسلاميّاً معاصراً يُؤرِّخُ لـ (للفكرِ الإِسلاميّ المعاصر الّذي أَنتجه علماءُ ومفكرون من أَهلِ السنّةِ العرب) [٢] وهو الأُستاذ منير شفيق يقول :

« كانَ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ) (١٧٠٣ - ١٧٩١م) - الّذي أَسس الدعوةَ الوهابيّةَ في شبه الجزيرةِ العربيّة - أَوّلَ من حاولَ طرحَ مشروعٍ إِسلاميٍّ جديدٍ في الربعِ الأَخيرِ من القرنِ الثامنَ عشرَ ، وقد استطاعَ مع محمد بن سعود وحلفاؤهما قيادةَ حركةٍ ناجحةٍ استولت من خلالِ الدعوةِ والقوّةِ على السلطةِ في شبه الجزيرةِ العربيّة ، وطبّقت أَفكارَها على أَرضِ الواقعِ من (١١٥٣ هـ) إِلى (١٢٣٣ هـ) ، الموافق (١٧٤٠ - ١٨١٧ م) » [٣] .

والآنَ ، بعد أَن أَثبتنا أَنَّ الدعوةَ السلفيّةَ كانت الأَساسَ للصحوةِ الإِسلاميّةِ المعاصرةِ ، هل سنكون كذلك - نحنُ - الذين يملؤون الفراغَ الآن ؟!

ولكنَّ هذا الأَمرَ ليسَ بالهيّنِ ، فهو بحاجةٍ « إِلى صراطٍ واضحٍ نسلكه في سبيلِ الدعوةِ ، وهذا الصراطُ - أَو بلغةِ العصر (الاستراتيجيّة) - يعني أَن يكونَ للجماعاتِ الإِسلاميّةِ أَهدافٌ نهائيّةٌ يريدونَ الوصولَ إِليها ،ولتكن هذه الأَهدافُ من الّتي لا تتحققُ إِلّا بمرورِ جيلٍ أَو جيلين ، ثمَّ أَهدافٌ مرحليّةٌ آنيّةٌ تتحققُ في ظرفِ عامٍ أَو عامين ، ثمَّ يكونُ السعيُ والجهادُ في إِطارِ هذه الأَهدافِ المرحليّة والنهائيّة » [٤] .

وهذه (الاستراتيجيّة) لا بدَّ أَن يتداعى إِلى بيانها وتوضيحِها كلُّ العلماءِ وطلبةِ العلمِ من أَبناءِ هذا المنهجِ ، وبأَسرعِ وقتٍ ، حيثُ إِنَّ الزمنَ الآنَ ليس في صالحِ

(١) « اليقظة الإِسلاميّة في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إِلى أَوائلِ الحرب العالميّة الأُولى » (ص ٤٥) .

(٢) « الفكر الإِسلاميّ المعاصر والتحديات » تأليف منير شفيق (ص ٩) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٣)

(٤) « الطريق إِلى ترشيد البعث الإِسلاميّ » تأليف عبدالرحمن عبدالخالق (ص ٢٥) .

الإِسلام ، بل وللأسفِ هو في صالحِ الأَعداء .

وهذه بعضُ الأُسسُ الجامعةُ الهامّة الّتي تساعدُ في تَفْعيلِ هذا الصراط :

١ - عدمُ حصر المنهج بأَبنائه والذين يحبّونَه ، بل لا بدَّ أَن نقومَ بنشرِ هذا المنهجِ على النّاسِ كافّة عبرَ وسائلِ الإِعلامِ العامّةِ ، والقاعدةُ المعروفةُ تقول : (درهمُ وقايةٍ خيرٌ من قنطارِ علاج) .

٢ - عدم الترفّع على الناسِ بأَنّنا نحن أَصحابُ الحقّ والطائفةُ المنصورةُ ، بل لا بدَّ أَن نكونَ قريبينَ من النّاسِ ، نكسبُ ثقتَهم ، ونكونُ عوناً لهم ، وابنُ تيميّة يصفُ دعاةَ الحقِّ بأَنَّهم « يعلمونَ الحقَّ ويرحمونَ الخلق » .

٣ - مُخاطَبةُ الناسِ بالقواعدِ العامّةِ لهذا المنهجِ حتّى تصبحَ قواعدَ تحكمُ تصرفاتِه وأَهواءَه ، ثمَّ يكونُ التطبيقُ لهذه القواعدِ عبرَ المسائلِ التفصيليّة الفرعية .

فلا يمكنُ لمن لا يُنزلَ كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه منزلتَهما أَن يتقيّدَ بأَوامرِهما .

... هذه (بعضُ) الأُسس الّتي لا بدَّ أَن نحرصَ على العملِ بها ، حتّى نخطوَ خطوةً للأَمام في طريقِ رفعةِ الإِسلامِ ، والقيامِ بحقِّ الله حتّى ينشرَ ضياؤُهُ ، ﴿ ويكونَ الدينُ كُلُّهُ للّهِ ﴾ .

أحوال العالَم الإِسلامي

التحرير

● انقشعت حالة النشوة التي غطَّت على عيون المخدوعين ، الذين صفَّقوا لمفاوضات « أُوسلو » السرية بين يهود وفلول (الفلول) والتي تمخَّضت عن حزام أمني لدولة يهود في فلسطين المحتلة ، فإذا بهم يتحققون أَنَّ وعود الرخاء الاقتصادي التي سال لعابهم لها إِنَّما هي أَمانيُّ شيطان أَوقع صيده في حبائله ثمَّ قال : إِنِّي بريء منك !

وقد جاء ذلك صريحًا على لسان رئيس السلطة الكرتونيَّة في غزَّة وأَريحا ؛ حيث صرَّح بأَنَّه نفد صبره ، فهو لم يتسلم شيئًا من المعونات الموعود بها من الدول المانحة (التي أَضحت مانعة) وهدد أَنَّه سيعلن على الملأ ...

ولكن هذه المؤشرات لم تجعل هؤلاء القوم يستفيقون على النِّهاية التي أَعدَّها لهم أَسيادهم ...

وهذا الواقع البئيس لم يمنع شرطة هذا الرئيس أَنْ تطارد عشراتِ المسلمين في غزَّة ، وتقتحم عليهم بيوتهم وتعتقلهم بحجَّة أَنَّهم يهددون عملية السَّلام ، بل إِنَّها تدخلت في شؤون بيوت اللَّه محاولةً تقليص نشاطها (!) .

وهذا يدل على أَنَّهم بدأَوا تنفيذ الملحقات السرية للمفاوضات السِّريَّة على أَرض الواقع .

● تعيش فرنسا منذ عدَّة أَسابيع حياة الذعر والخوف والقلق . ترى ذلك

واضحًا في حملات التفتيش والحجز والاعتقال التي شنَّتها الشرطة الفرنسية على الإسلاميين المقيمين فيها بحجَّة أَنَّهم يهددون أَمنها .

وهذا يدل على أَنَّ المتاجرة بالشعارات الرنَّانة كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان التي تطرحها هذه الدول الغربية إِنَّما هي ذرٌّ للرماد في العيون ، وذريعة لها لكي تتدخل في شؤون البلاد المغلوبة على أَمرها ، المقهور أَهلها .

● عُقد على أَرض الكنانة مؤتمر الإِسكان ... والغريب أَنَّه لا يريد مناقشة مسألة الإِسكان ، بل يريد أَن يستأْصل سكان العالم الإسلامي بدعوى تنظيم الأُسرة ، ويريد إِشاعة الفاحشة بين سكان العالم الإسلامي بدعوى الحرية الجنسية بين الذكر والأُنثى ... والذكر والذكر ، والأُنثى والأُنثى ! وكأَنَّ هذا البلد أَصبح فرنسا أَو أَمريكا ، وصرخ الأَزهر واستنكر ، إِلَّا أَنَّ صرخته ذهبت أَدراج الرِّياح .

وإِنَّ مما ينبغي أَنْ يُسترعى النَّظر إِليه أَنَّ تلك الحكومات لا تجرؤ على مثل هذه الخطوة إِلَّا حينما يسري التخدير في جسد الأُمَّة وعروقها ؛ فتغدوا محنَّطةً مجمَّدةً لا تحرك ساكنًا ولا توقف متحرِّكًا إِزاء ما يخطَّط لها ويدبَّر ؛ كلُّ ذلك يحصل لبعد الأُمَّة عن كتاب ربِّها ، وسنَّة نبيِّها ﷺ .

ولكن لماذا مصرُ أَوَّلًا ؟ لأَنَّ مصرَ هي مختبر التجارب لكل ما يحادد دين اللَّه ، فإِذا نجحت التجربة فيها كانت في غيرها أَنجح ؛ فتجربة الصلح مع اليهود من خلال كامب ديفيد كانت مصريَّة أَوَّلًا ، ثمَّ أَصبحت بعد ذلك فلسطينيَّة ، ثمَّ ... ، ثمَّ ... (الحبل على الجرَّار) .

فهل تنتقل عدوى المؤتمر إِلى بلدان أُخرى لتكون ضحيَّة المستقبل ؟!

إِنَّه النِّظامُ العالميُّ الجديدُ الذي تجاوَزَ حدودَ الدُّولَ إِلى نطاقِ الشُّعوبِ والأُسرِ !!

اللهم سلِّم .. اللهم سلِّم .

القرَّاء ... منهم وإليهم

التحرير

● وصلت إلى **الأَصالة** رسالة من الأَخ المحب (أَبو معاذ زهير بن عبدالرحمن الرحماني) المدرس بمدرسة الصديق لتحفيظ القرآن الكريم - بجدَّة ، يقول فيها :

السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد :

فقد اطلعت على العدد التاسع لمجلَّتكم الغرَّاء لأَول مرَّة ، فسررت جدًّا ، وقرأْتُها من أَوَّلها إلى آخرها ، وإِنَّه لمن دواعي البهجة والسرور ، ومما يثلج الصدر أَنْ هيَّأَ اللَّه تعالى في هذا العصر أَمثالكم وأَمثال الإِمام محدِّث العصر الشيخ محمَّد ناصر الدين الأَلباني حفظه اللَّه ، وبعض العلماء والكتَّاب السَّلفيين ؛ هيأَهم اللَّه لحمل لواء الدفاع عن الكتَّاب والسُّنَّة وعن أَهلها ، وإِنِّي لأُبارك لكم مساعيكم وأَبتهل إلى اللَّه تعالى أَن يُمدَّكم بتوفيقه - بمنه وكرمه - لخدمة الكتاب والسنَّة عن طريق هذه المجلة الأَصيلة .

كما يشكر **الأَصالة** على نشر نبذةٍ عن العلَّامة المحدِّث جدِّه الشيخ عبيداللَّه الرحماني المباركفوري .

وقد تكرم مشكورًا بإِرسال ترجمةٍ وافيةٍ لجدِّه العلَّامة .

الأَصالة تشكر الأَخ زهير الرحماني على كلماته الطيبة ، ومشاعره الصَّادقة النبيلة وهي تولي عنايتها بتراجم العلماء الذين هم على منهج السَّلف ، وإِبراز دورهم ؛ ومن بينهم العلَّامة عبيداللَّه الرحماني رحمه اللَّه .

وقد قمنا بنشر مقالكم عنه في العدد الثاني عشر ، ونأْسف لتأْخير نشر رسالتكم

هذه لأَسباب خارجة عن إرادتنا ، واللَّه يحفظُنا وإيَّاكم حَمَلَةً لهذه الدعوة ، ومرحبًا بكم أَخًا لـ **الأَصالة** وأُسرة تحريرها ، وشيخُنا الأَلباني وجميع إخواننا يُقرئونكم السَّلام .

● ووصلت إلى **الأَصالة** رسالة من الأَخ المحب حسين بن محمَّد عبداللَّه حوتان الغامدي (مدينة الجبيل الصناعية) يقول فيها :

السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، فأَبعث إليكم هذه الرسالة لتصلكم مع جميع الإخوة القائمين على مجلَّة **الأَصالة** وأَنتم ترفلون في ثياب الإيمان والعافية ، كما وأُهنِّئ نفسي وجميع محبي المنهج الصحيح بوجود هذه المجلة الرائدة سائلًا اللَّه العلي القدير أَن يسدد خُطا الإخوة القائمين عليها وأَنْ يعينهم ، وأَن يكتب أَجرهم وأَن يلهمهم الرشد والصواب ، وأَنْ يثبِّتهم على الحق . آمين .

كما بعث الأَخ الودود ببعض الأَسئلة الموجهة لشيخنا العلَّامة الأَلباني حفظه اللَّه تعالى ؛ ليجيب عليها عبر صفحات **الأَصالة** ، وفي الختام يتمنَّى للجميع الأَجر والثواب .

و**الأَصالة** تشكر الأَخ الفاضل حسين الغامدي ، وترحب به أَخًا ، وتتمنَّى أَن تكون عند حسن الظنِّ بها ، وسنعرض أَسئلتك يا أَخ حسين على فضيلة شيخنا الأَلباني في أَعداد قادمة إنْ شاء اللَّه ، وفَّق اللّه الجميع لما يحبُّ ويرضى .

● ووصلت إلى **الأَصالة** رسالة من الأَخ المحبِّ والصَّديق الوفيِّ أَبي صهيب أَحمد سلَام – حفظه اللَّه – الدَّاعية إلى اللَّه في (أَيندهوفن – هولندا) يقول فيها :

السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

أَسأَل اللَّه تعالى أَن يوفقنا وإيَّاكم والمسلمين لكل ما فيه خير الدنيا والآخرة ، وأَسأَله أَنْ تكونوا والإخوة جميعًا بخيرٍ وعافيةٍ وهمَّةٍ ونشاطٍ .

والأَخ أَبو صُهَيب يسأَل عن سبب تأَخر إرسال **الأَصالة** إليهم ، بالإضافة إلى أَنَّه قد زوَّدنا – أَكرمه اللَّه – بمقالين نافعين .

والأَصالة تشكر الأَخ أَبا صهيب أَحمد سلَام ، وتتمنَّى له ولإِخوانه التوفيق والسَّداد ، وسنعمل على نشر مقالاتك النَّافعة تباعًا بإِذن اللَّه ، أَمَّا الأَعداد التي طلبتموها من **الأَصالة** فسبب تأخُّرها عدم توفّرها عندنا ، وقد طلبناها لكم من موزعنا ووكيلنا في المملكة العربية السعودية ، ونحن ننتظر مثلكم ، وسنرسلها إِليكم بعد وصولها إِلينا إِنْ شاء اللَّه تعالى .

ونشكر لكم ما تقومون به وما تبذلون في سبيل نشر عقيدة السَّلف الصالح ، ومنهاجهم ، واللَّه يحفظُنا وإِيَّاكم من كل مكروهٍ وسوءٍ .

واقبلوا تحيَّات إِخوانكم في **الأَصالة** واعتذارَهم عن تقصيرِهم معكم ومع غيركم .

« مُحدِّثون أم مُخدِثون ؟! »

التحرير

هنالك في السَّاحة العلمية - اليوم - قوم لهم انشغال بعلم (الحديث) النَّبويِّ ، ولكنهم (مُحْدِثون) !!

فقد كان من مقتضى كون (الرجل) مُحَدِّثًا أَن يكون سلفيَّ العقيدة ، وقَّافًا عند حدود الكتاب والسنَّة ، يرى ما سواهما من وسواس الشياطين ، وأَنْ يكون مستقلًّا في الاستدلال لما يؤخذ ولما يُترك من مسائل الدين ، وقد تعالت هِمَمُ المحدِّثين عن تقليد الأَئمَّة المجتهدين ، فكيف ترضى بتقليد المبتدعة الدجَّالين ؟!

ولكن - يا للأَسف - عُرِفَ عن قومٍ لهم اشتغال بعلم (المصطلح) والأَسانيد ، ولبعضهم همٌّ في استيعاب الروايات والإِجازات ، لكنهم قضوا عمرهم في نصر (البدع) و (الضلالات) ، و (محدثات) الأَقوال والأَفعال ، وبعضهم يعمل على نصر (الطُّرقية) ، وضلالات (الطرقيين) ، وبعضهم حرب عوان على السَّلفية ، وخصم لدود لمن كان على منهج السَّلف الصَّالح - رضي اللَّه عنهم - !

وهل يُرجى من هؤلاء وأُولئك - ممن نشأ في أَحضان (البدعة) ، وفتح عينيه على أَصحابها ، وعلى ما فيها من مالٍ وجاهٍ ، وشهوات ميسرة ، ومخايل من المُلك - أَنْ يكون سلفيًّا ، ولو سلسل الدنيا كلها بمسلسلاته ؟!

« إِنَّ السَّلفية نشأَة ودراسة وارتياض ، فالنشأَة أَنْ ينشأ في بيئة - أَو بيت - كلُّ مافيها يجري على السُّنَّة عمَلًا وقولًا ، والدراسة أَن يدرس من القرآن والحديث الأُصولَ الاعتقادية ، ومن السيرة النَّبويَّة الجوانب الأَخلاقية والنَّفسية ، ثمَّ يروِّض نفسه

بعد ذلك على الهَدْي المعتصر من تلك السيرة ، وممن جرى على صراطها من السَّلف »[١].

فالمشتغلون بالحديث - هذه الأَيَّام - من (المحْدَثين) ممن لم يتَّصفوا بهذه السِّمات - وإِنْ حصَّلوا (الإِجازات) - إِنَّما هم بحاجةٍ إِلى أَنْ يعودوا إِلى (تقويم الذَّات) ، وينظروا إِلى منهج الصحابة والتابعين في الفهم والتلقِّي ، ليحصل لهم - إِنْ شاء اللَّه تعالى - الاقتداء ، وحينئذٍ يتعاملون مع الأَحاديث النبويَّة وكأَنَّ النَّبي ﷺ يخاطبهم بها ، فهم بها يتمسكون ، ولأَهلها يوالون .

ورحم اللَّه ابن القيِّم ، فإِنَّه يقول : « ولقد خاطبتُ يومًا بعض أَكابر هؤلاء ، فقلتُ له : سأَلتك باللَّه ، لو قُدِّر أَنَّ الرَّسول ﷺ حيٌّ بين أَظهرنا ، وقد واجَهَنا بكلامه وخطابه ، أَكان فرضًا علينا أَنْ نتَّبعه من غير أَن نعرضه على رأَي غيره وكلامه ومذهبه ، أَم لا نتّبعه حتى نعرض ما سمعنا منه على آراء النَّاس وعقولهم ؟

فقال : بل كان الفرضُ المبادرةَ إِلى الامتثال من غير التفاتٍ إِلى سواه .

فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنَّا ؟ وبأَيِّ شيءٍ نُسخ ؟

فوضع إِصبعه على فيه ، وبقي باهتًا متحيِّرًا ، وما نطق بكلمة »[٢].

... فليسَ كُلُّ مَن استعرضَ المتونَ ، وتعرَّضَ للأَسانيدِ ، وشَغَلَ النَّاسَ بخلافاتِه ومُخالفاتِه (مُحَدِّثًا) .

نَعَم ؛ هو (مُحْدِثٌ) حَدَثَ سوءٍ شَغَلَ به نفسَهُ ، وأَزْعَجَ به غيرَه ، لأَنَّه لم يُبْنَ على ساق العلمِ ، ولم يعتمد على ركن وثيق ..

واللَّهُ الهادي .

---

(١) من كلام الشيخ محمَّد البشير الإِبراهيمي في « عيون البصائر » (٦٢٢) .

(٢) « مدارج السَّالكين » (٢ / ٣٨٨) .

استبيان الأَصالة

بِمُناسبَةِ دخول **الأَصالة** عامها الثالث ، وإيمانًا منَّا بضرورة التناصح ، وأَهميَّة التجديد النَّافع ، نضعُ بين أَيدي قرَّائنا الأَفاضل هذا الاستبيانَ ؛ من أَجل رفعِ مستوى رسالتنا ، وللحفاظ على استمرارها ، وفي سبيل جعلها تلبي النَّافع من آراء الإخوة القرَّاء ، وحتَّى تغطي ما يدور في أَذهانهم لتصبح حقًّا مجلة كل أَخٍ مسلمٍ ، ولتدخلَ كلَّ بيتِ مسلمٍ - من أَجل ذلك كله نرفع إِليكم هذا الاستبيانَ المتضمِّن لبعض النَّواحي المراد إِبداء الرأْي حولها ؛ لترسلوه لنا ونحن لكم من الشَّاكرين :

أَوَّلًا - مكانة المجلَّة على السَّاحة الدَّعويَّة :

(١) عالية (٢) متوسطة (٣) دون المستوى

ثانيًـــا - لغتها وبيانها :

(١) قوية (٢) متوسطة (٣) ضعيفة

ثالثًـــا - الأَخطاء التي تقع فيها :

(١) كثيرة (٢) متوسطة (٣) قليلة

رابعًـــا - الأَبحاث والأَبواب والمواضيع المطروحة فيها :

(١) شاملة (٢) مقتصرة على البعض (٣) قاصرة (٤) محتوية على الأَهم

خامسًا - اهتمامها بعقيدة التوحيد ومنهج السَّلف الصالح :

(١) ممتاز (٢) جيد (٣) متوسِّط (٤) ضعيف

سادسًا - ملاحظات أُخرى واقتراحات :

طَلَبٌ وَرَجاءٌ

تدعو أُسرة تحرير رسالة (**الأَصالة** » أَهل العلمِ وطلابه مُشاركتها في دعوتِها بالكتابةِ إِليها ، ومناصرتها بالكلمة الطيبة ، والنُّصح والإِرشاد ، والنَّقد البنَّاء .

وترجو من الإِخوة الذين يرغبون في الكتابةِ إِليها مراعاة الأُمور الآتية :

١- الحرص على الموضوعات الَّتي تجدّد للأُمّةِ دينها ، وتنشئ جيلاً مسلماً ، ثابتاً على الحقِّ ، يرضى بالله ربّاً وبالإِسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً رسولاً .

٢ - أَن يكون الموضوع مُتَّسقاً مع منهجِ السلف الصالح رضي الله عنهم .

٣ - اعتماد الدليل من الكتاب والسنّة الصحيحة ، والاستئناس بفهم أَهل العلم والإِيمان من هذه الأُمّة .

٤ - اعتماد الأُسلوب العلمي والابتعاد عن الزخرفة اللَّفظيّة ، واختيار العبارات الميسرة الَّتي يَسهُل فهمُها ولا تستعجم على السَّواد الأَعظم من المسلمين .

٥ - الكتابة بخط مقروءٍ ، والعناية بعلاماتِ الترقيم ، وتوثيق الأَقوالِ ببيان مصادرها .

ونسألُ اللهَ أَن يوفِّقَ الجميع لما يحبّه ويرضاه ، وأَن يُؤلِّف بين قلوب المسلمين ، ويجمع كلمتهم على الكتاب والسنّة الصحيحة وفهم سلف الأُمّة .

« **الأَصالة** »

تنْبِيهٌ وَبَيانٌ

لتكونوا عونًا لنا على نشر العلم النافع ، وتعميم الفائدة بين المسلمين ؛ سيرًا على نهج سلفِ الأمَّة الصالحين ، وطرائقهم الخيِّرة في الدعوة والتربية.

ولأنَّ كُلًّا منّا - نحن المسلمين - على ثَغرة ، فإنَّنا نعرضُ عليكم بابًا من أبواب البرِّ تفتحونه لأنفسكم ؛ ينفعكم - بمنّة اللّه - في أُخراكم ، وذلك من خلال تَبنّيكم مجموعةَ أعداد من رسالتكم (**الأصالة**) ، ومن ثمَّ توزيعها على طُلّاب العلم والحريصين على التعلُّم .

وعليه ؛ فإنّنا نرجو منكم - إن رغبتم - تحديدَ ما يلي :

أولًا : الكميَّة التي ترغبون بتوزيعها :

١ - (٥٠) نسخة . ٢ - (١٠٠) نسخة . ٣ - (٢٠٠) نسخة .

٤ - (٥٠٠) نسخة . ٥ - (١٠٠٠) نسخة . ٦ - ( ) نسخة .

ثانيًا : الجهة التي ترغبون أن توزع فيها :

١ - البلاد الإسلاميَّة الفقيرة .

٢ - تقدمةٌ للمراكز الإسلاميَّة والمجلات الأخرى والشيوخ .

٣ - المساجد . ٤ - طلبة العلم الفقراء .

ثالثًا : الاشتراك الذي ترغبونه :

١ - نصف سنوي . ٢ - سنوي . ٣ - أعداد معيَّنة .

رابعًا : طريقة التوزيع التي ترغبونها :

١ - أن نُسَلِّمها لطرفكم ، أو لجهةٍ معيَّنة أنتم تُحَدِّدونها .

٢ - أن نقومَ نحن بتوزيعها .

خامسًا : يُرفق شيك بالقيمة الإجمالية ، على وَفْق المطلوب ، باسم **رئيس التحرير** .